

الحياة السياسية والاجتماعية في المشرق الإسلامي خلال القرن الخامس الهجري \ الحادي عشر الميلادي

د . إيهاب محمد علي زاهر
جامعة آل البيت الأردن

الملخص

أُلقت الدراسة الضوء أوضاع العراق وجواره خلال القرن الخامس الهجري \ الحادي عشر الميلادي متناولاً مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والقوى الداخلية والخارجية ، وعلاقتها مع دولة الخلافة .
تتبع الدراسة التطورات السياسية والتحويلات الاجتماعية التي شهدتها المنطقة من خلفات سياسية ومذهبية من خلال قراءة المصادر التاريخية ، وأخذنا بعين الاعتبار التراث القديم للأتراك وما خلفته الدولة البويهية على الأرض .
وتفيدنا الدراسة في فهم الظروف السياسية والدينية التي عصفت بمنطقة العراق وجواره وما خلفته من آثار متجددة .
الكلمات الدالة : المشرق الإسلامي ، القرن الخامس الهجري ، الحياة السياسية ، الحياة الاجتماعية .

المقدمة

تناولت الدراسة فترة تاريخية مميزة ، وهامة شهدتها منطقة المشرق الإسلامي ، وهي فترة تميزت بتباينها لخصتها التحويلات السياسية والدينية المذهبية التي لا يمكن التعامل معها في قالب واحد ، استطاع خلالها الوزير نظام في الحفاظ على دولة السلاجقة وإدارة شؤونها بنفسها بعيداً عن هذه التحويلات والمتغيرات ، لكن لم يستمر ذلك طويلاً وسرعان ما وجدت الدولة السلجوقية بوفاة وزيرها في قلب هذه التحويلات .

تميز القرن الخامس الهجري \ العاشر الميلادي بأنه من الفترات التي غلبت فيها على الخلافة الإسلامية السنية شخصيات ودويلات اختلفت فيما بينها ، فبرزت دولة السلاجقة السنة من الدول المتغلبة ، حيث جاء وسط خلاف مذهبي أدى إلى تمزق وحدة المسلمين وانقسامهم وظهور العديد من الفرق الإسلامية التي تشعبت بدورها إلى عدة فرق متباينة في مفاهيمها وطروحاتها السياسية والاجتماعية .

ظهرت قوى جديدة على المسرح السياسي بعد أن خاضت معارك قوية مع دول المنطقة ، تمكنوا خلالها من إنشاء قوة عسكرية نظامية في فترة شكلت حالة مضطربة من الفرقة والانقسام بين أصحاب الفرق والمذاهب والأجناس الأخرى كل هذا ترك آثاره على مؤسسة الخلافة والأهالي .

تناولت الدراسة الحديث عن الأنظمة السائدة كالإقطاع وتجارب الأمم السابقة في إحداث تعديلات على هذا النظام وتثبيتته على الأرض ، وشملت إصلاحات الوزير نظام الملك العلاقات الاجتماعية بين مختلف الطبقات المتصلة بنظام الإقطاع كالمزارعين ، بالإضافة إلى ضبطه لواردات ومصروفات الدولة .

تتبعنا في هذه الدراسة ميدان الحياة الفكرية والعلمية المتمثل في ترسيخ سيادة المذهب السني ، ومقاومة المد الشيعي والحركات المغالية في المنطقة من خلال إنشاء المدارس .

الأوضاع السياسية في العراق وجواره :

يشكل القرن الخامس الهجري \ الحادي عشر الميلادي نقطة تحول خطيرة في التاريخ الإسلامي ؛ ففيه تراكمت كل سلبات نظم الحكم السابقة ، وتركت ثمارها في جميع مجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع والقوى العسكرية ، وكان بذلك قاعدة الارتكاز التي استندت إليها معظم حالات الانهيار والتفسخ .

شهدت هذه الفترة ابتعاد الأمة عن مركز الانطلاق ، مكاناً وزماناً ، وثقافة وسلوكاً ، وبمحاولات التشويه والتحريف والالتفاف على النصوص ، ووضع الأحاديث والأخبار لأغراض سياسية ، ففرقت الأمة أحزاباً ومللاً ونحلاً وأخذت كل طائفة من الكتاب والسنة تأويل يخدم أهدافها ، فأدى ذلك كله إلى الانشقاق في السلطة السياسية المركزية ، وانفراط عقد الدولة الإسلامية الواحدة ، وأخذت تظهر في أطراف الدولة الأموية ثم العباسية بعدها دويلات مستقلة⁽¹⁾ (علي ، 1982) ؛ فظهرت في الشرق الإسلامي الدولة الطاهرية بخراسان (205هـ \ 820 م) ، والدولة الصفارية بفارس (254هـ \ 868 م) ، والدولة السامانية بفارس وما وراء النهر (261هـ \ 874 م) ، والبويهيين (320هـ \ 932 م) ، والدولة الغزنوية بأفغانستان والهند (366هـ \ 976 م) .

يلاحظ بوضوح حالة الفوضى العارمة التي مرت فيها البلاد في الشرق أو الإسلامي خلال العهد العباسي الثاني ، وقد تجلت هذه الفوضى في تفاقم التجزئة وفي قيام كيانات اجتماعية مختلفة المرجعيات والاتجاهات الدينية والسياسية والمذهبية والعرقية ، ولم تعد الخلافة العباسية تستمد شرعية وجودها سوى من الناحية الدينية فأصبحت سلطتها بذلك سلطة دينية إذ " لم يكن للخليفة العباسي من الأمر شيء سوى ذكر اسمه في الخطبة ونقشه على السكة " (2) (عبد المنعم ، 1975) بعد أن انتزع منه البويهيون كل سلطة فعلية بالرغم من أنهم كانوا هم أنفسهم يبادق في أيدي القادة العسكريين الأتراك ذلك أن سيطرة هؤلاء على بغداد وأجزاء من بلاد فارس إنما كانت في الحقيقة تعبيراً عن تعاضم النفوذ التركي العسكري وقد تدعّم العنصر التركي أكثر داخل المجال الإسلامي بقيام الدولة الغزنوية⁽³⁾ (علي ، 1987) .

تمكن العنصر التركي المتأثر بالبيئة التي عاش فيها وأتصف بصفات البدو كالشجاعة والشراسة والغلظة والذود عن الأسرة والحماية والانتماء للعشيرة والمجاهدة للخصم والغيرة والصبر يقول الجاحظ " الترك أصحاب عمد وسكان ضياف وأرباب مواشي وهم أرباب العجم كما أن هذيلاً أكراد العرب ، فحين لم تشغلهم الصناعات والتجارات والطب والفلاحة والهندسة ولا غرس ولا بنيان ولا شق أنهار ، ولا جباية غلات ، ولم يكن همهم غير الغزو والغارة والصيد وركوب الخيل ومقارعة الإبطال ، وطلب الغنائم وترويع البلدان وصار ذلك هو صناعتهم وتجارتهم ولذتهم وفخرهم " (4) (عمرو ، 1975) وقد تمكنت هذه القبائل من تكوين قوّة عسكرية إذ أثارت قوّمها العسكرية المتنامية التوتر للدول المجاورة خاصة أهما بدأت تجنح إلى الاستقرار مما أدى إلى اندلاع مواجهات عسكرية متعددة خاصة بين السلاجقة الوافدين و الغزنويين الذين تيقنوا أنّ الوجود السلجوقي يشكل خطراً عليهم في هذا الموقع من العالم الإسلامي ، وقد تبادل الطرفان النصر والهزيمة إلى أن كانت "موقعة" دانداقان"⁽⁵⁾ (عماد الدين ، 1977) سنة 431هـ \ 1039م التي حقّق فيها السلاجقة الأتراك نصراً عسكرياً حاسماً على الغزنويين وقائدهم مسعود الغزنوي فانفتحت بذلك أبواب إيران على مصرعها أمام السلاجقة⁽⁶⁾ (محمد ، 1960) تمكّن السلاجقة من القضاء على الدويلات المتناثرة في الشرق وأعادوا تنظيم الدولة وتوحيدها تحت راية الإسلام السني ممّا أعطى المعسكر السني دعماً عسكرياً كان الخليفة العباسي في أشدّ الحاجة إليهما ، وهكذا نجح السلاجقة الأتراك في رسم صورة لهم تظهرهم في مظهر منقذي وحدة الدولة الإسلامية وحافظي الإسلام من التداخي والانهيار وبالتالي أصبح السلاجقة أوصياء على الإسلام ، فتراجعت مكانة الفارسيين وتقلّص حضورهم في المشهد الحضاري الجديد بينما أصبح النفوذ العربي يتراجع أمام تأثير السلاجقة⁽⁷⁾ (علي ، 1987) .

كانت الحياة السياسية قبيل مجيء السلاجقة مضطربة ومتفاوتة من وقت لآخر ، فقد ازدادت خلالها الصراعات العسكرية على الحكم بين أمراء بنو بويه مما أضعف قواهم العسكرية ، وساهمت في ازدياد شغب الجند الأتراك والديلمة⁽⁸⁾ (علي ، 1987) و(كاهن ، 1972) و(عبد العزيز ، 1984) وتدخلوا بتوريث الحكم للأمراء بسبب إفلاس الخزينة وعدم

مقدرتهم على تأمين أرزاقهم ولقمة خبزهم الإدارية في النظم والمؤسسات وأرثهم الحضاري الذي جلبوه من مواطنهم الأصلية وطبقوه في البلاد التي خضعت لهم (العراق) ، فجاءوا بالنظام الإقطاعي القبلي⁽⁹⁾ (علي، 1987) و(عبد العزيز ، 1984) و(اشتور ، 1985) .

وشهدت بغداد محاولات عصيان على أمير الأمراء البويهي نتيجة سوء المعاملة التي صدرت عن الوزراء الذين تعسفوا في جباية الأموال الأمر الذي دفع الناس إلى ترك بيوتهم ، وحمل من تبقى لواء العصيان على هذه التشريعات الفردية التي أظهرها الوزراء ، وتعرضت الخلافة العباسية في أواخر العهد البويهي للضعف وفقدان سلطتها السياسية وعدم السيطرة على أراضيها ، وانعدام الأمن ، وعم الفساد أرجاء البلاد وكثرت السرقات ، وأصبحت القوى المحلية تتعدى على المناطق القريبة من نفوذها⁽¹⁰⁾ (علي ، 1987) ، وحظي الديلمة بنفوذ واسع في بغداد ، فبرز تأثيرهم في مؤسسة الخلافة بتمرير قراراتهم من خلاله ، وانفرادهم بالخطبة لأمرآء آل بويه أولاً ، ثم الخطبة للخليفة ثانياً ، كما انفردوا في اختيار أميرهم الذي يجمع كلمتهم ، ويتفقون عليه⁽¹¹⁾ (علي ، 1987) و(اشتور ، 1985) .

لم يكن بمقدور أمرآء آل بويه ، والجند اتخاذ بعض التدابير كالحصول على الألقاب ، والمناصب الرفيعة إلا بإضفاء الشرعية عليها ، ويبرز هنا أهمية الفتوى في تلك الفترة ، فكان الخليفة لا ينفرد في مثل هذه القرارات خاصة عند اعتراضه عليها ، ويقحم المفتون في مثل هذه القرارات ، فمثلاً إحالة الخليفة القائم بأمر الله (310هـ \ 922م) طلب جلال الدولة (ت 435هـ \ 1043م) إلى الإفتاء للنظر بتلقبه بلقب " ملك الملوك " ⁽¹²⁾ (علي ، 1987) .

لم تكن العلاقة بين الخليفة والأمير البويهي مستقرة على الدوام ، فقد سجلت أحداث شكلت منحنى آخر في العلاقات ، فقد توترت العلاقة بين الخليفة العباسي والحاكم البويهي بسبب استيلاء الأمير البويهي على الجوالي⁽¹³⁾ (دهمان، 1990) التي جرت العادة أن ترسل للخليفة ، ولم يتعدى موقف الخليفة سوى الاحتجاج ، وعقد مجلس مكون من الهاشميين ، ومن الملاحظ اعتماد الخليفة العباسي على القضاة في حل خلافاته مع أمير الأمراء البويهي مثل اعتماده على أبي الحسن الموردي (ت 450هـ \ 1058م) ⁽¹⁴⁾ (علي ، 1987) .

وتسلط الأتراك على الحاكم البويهي ، ومارسوا أعمال شغب ونهب لامتلاكات الدولة ومؤسساتها ، وبلغ الأمر بهم إلى حد محاصرة الحاكم البويهي وأهل بيته في قصره ، ومنع الطعام عنهم ، وجاءت هذه الأحداث كرد فعل على تأخر إعطياتهم وأجورهم ، ومن الملاحظ في مثل هذه الأحداث توسط الخليفة العباسي في حل هذا النزاع بطلب من الحاكم البويهي ، فقد توسط الخليفة العباسي القادر بالله (ت 422هـ \ 1030م) بين الجند الأتراك والأمير البويهي جلال الدولة بسبب تأخر أرزاقهم سنة 419هـ \ 1028م⁽¹⁵⁾ (علي ، 1987) و(اسماعيل ، د.ت) وتذكر المصادر أنهم أجزوه على بيع فرشه وثيابه وخيمه وفرق ثمنها بينهم حتى سكتوا ، وتزايد تطاول الجند على الأمير البويهي ، وتدخلوا في شؤون الحكم والاعتراض على الحاكم في اختيار الوزراء ، ونهب قصر الحاكم ، وطرده من قصره وإعادة⁽¹⁶⁾ (علي ، 1987) و(اسماعيل ، د.ت).

شهدت بلاد فارس في أواخر العهد البويهي حالة من عدم الاستقرار لما شهدته من تحولات سياسية بسبب الصراعات على الملك بين الأمراء البويهيين التي كانت تنشط عند وفاة أحد الملوك لبلاد فارس⁽¹⁷⁾ (علي ، 1987) ، كما ونشبت الصراعات المذهبية بين السنة والشيعة نتج عنها حركات نزوح القبائل العربية لطلب النصرة على الآخر ، وتعامل عمال الدولة البويهيية مع المفتعلين لهذه الأحداث بنفيهم ، ويدل على ذلك قيام الحسن بن فضل بن سهلان والي بغداد بنفي فقيه الشيعة أبا عبد الله بن النعمان⁽¹⁸⁾ (خير الدين ، 2002) بعد ما صدر عنه من فتن في بغداد⁽¹⁹⁾ (عبد الرحمن ،

(1992)، وخلفت هذه الفتن حرق للبيوت ، و الأسواق ، ووقوع حالات من القتل بين الأطراف المتصارعة ، وتدمير للجسور الواصلة بين الأسواق ، بالإضافة إلى ارتفاع نشاط الفئات السكانية الأخرى كالعيارون⁽²⁰⁾ (محمد ، 1981) والأكراد ، وأحدث العيارون والعامية أعمال شغب ضد البويهيين⁽²¹⁾ (علي ، 1987) و(اسماعيل ، د.ت) واعتبارهم مغتصبون للخلافة ، وحدثت مواجهات بين الجند والعامية أسفرت عن أعمال قتل وحرق للبيوت ونهب للممتلكات استدعت هذه الأحداث تدخل الخليفة العباسي ، وتضارب مواقفه مع الوزير السلجوقي عميد الملك الكندري حول هذه الأحداث ، ولكن الوزير فيما يبدو لم يصنع شيئاً عجزاً أو تواطؤاً ، بل نجد الخليفة العباسي تتضارب مواقفه مع أمير الأمراء البويهي⁽²²⁾ (علي ، 1987)، حيث أنكر الخليفة العباسي على الحاكم البويهي جلال الدولة أبي طاهر (435هـ \ 1043م) بسبب تشريعه ضرب الطبول في أوقات الصلوات الخمس ، لكن ذلك قوبل بالرفض والغضب⁽²³⁾ (علي ، 1987).

وطالت الفتن بلاد فارس ، فتشير المصادر إلى حدوث أعمال شغب ونهب وتمردات على الولاة نتيجة غياب الأمن لانشغال الجند بخلافاتهم كما حدث في نيسابور سنة 425هـ \ 1033م ، واستعانت الدولة البويهية بالقوى المحلية في حفظ أمن الولايات التابعة لها بعد أن عجز نواب الدولة عن ردع الفتن والفساد الذي تحدته الفئات السكانية كالعيارون⁽²⁴⁾ (علي ، 1987)، وامتلكت القبائل العربية في العراق أدوات التأثير ، فكانت مصدر قلق للسلطة ، الأمر الذي يحتم على الوالي في الدولة البويهية القيام بحملات عسكرية لصد غاراتهم ، وكان يسفر عن هذه المواجهات أعمال نهب للأموال ، وأخذ النساء⁽²⁵⁾ (علي ، 1987)، وبرز نشاط الإسماعيلية⁽²⁶⁾ (عبد المنعم ، 1993) في بلاد ما وراء النهر تمثل في الدعوة إلى طاعة المستنصر بالله العلوي⁽²⁷⁾ (كي ، 1985) صاحب مصر ، وأظهروا مذاهب أنكرها أهالي بلاد ما وراء النهر ، ولم يتم تقبل ما يدعون إليهم فتم ملاحقتهم وقتل من ظفر به⁽²⁸⁾ .

الإدارة :

كان الأمير البويهي يعين الولاة في الأقاليم إلا أن مؤسسة الوزارة شهدت في العصر البويهي حالة من عدم الاستقرار ، فقد واجه الوزراء في أواخر العصر البويهي التحديات التي حالت دون استمرارهم في مناصبهم لفترة طويلة ، بسبب تجاوزات الجند وتعديهم على الأرزاق ، واعتراضهم لسياسات الوزراء ، وكثير عزل الوزراء ، وازداد شغب الجند والفئات الاجتماعية الأخرى كالعيارين ، وكشفت مثل هذه الحوادث ضعف صلاحيات الوزراء ، وفقدانهم الهيبة ، ومما يدل على ذلك تغيير الوزارة ست مرات في عهد الأمير البويهي جلال الدولة⁽²⁹⁾ ، ويبدو أن وزراء آل بويه لم يحظون بصلاحيات واسعة وحماية تمكنهم من ممارسة برامجهم السياسية ، تلك التي تمتع بها وزير السلاجقة نظام الملك .

ولم تكن الوزارة أحسن حالاً في الدولة الغزنوية ، فيلاحظ غياب الدور الفاعل للوزير في هذه الدولة ، ويبدو أن مرد ذلك لضعف صلاحياته وقلة هيئته بين الجند لاستحواذ السلطان في هذه الدولة على زمام الأمور ، ولم تستقر الوزارة في الدولة السلجوقية في عهد طغرلبيك⁽³⁰⁾ .

الوظائف :

ومن الوظائف الإدارية الحسبة⁽³¹⁾ ومن اختصاصات صاحب هذه الوظيفة مراقبة الأسواق ، والمواريث والموتى⁽³²⁾ ، ومن الوظائف الديوانية الشهادة ، وممارسة الفتوى⁽³³⁾ ، ومن الوظائف التي تتعلق في الشؤون التجارية وهم كاتب الوثائق أو كاتب الجرايد بالسوق يقوم بتحرير وثائق التجار والعقود⁽³⁴⁾ ، والدلال أو السمسار وهو الذي يتوسط بين البائع والمشتري⁽³⁵⁾ ، والحمالون أو العتالون العتال في اللغة هو الحمال بأجرة ، أو الذي ينقل الأشياء من مكان إلى آخر على

رأسه أو ظهره ، أو على دابة تحمل المنقولات، واستخدموا الأكياس لحماية ثيابهم والخيال لربط المنقولات⁽³⁶⁾، والأمناء يتولون جباية الضرائب المقررة على الأسواق، ويضبطون المخازن، وكانوا أعواناً للمحتسب، والجلال وهو الذي يتزل التاجر عنده، فيتولى ضبط وينظر في جميع ما يوظف عليه المخزن بيت المال ويأخذ به سلماً فيبيعها ويدفع ثمنه للوالي ، والبواب مهمته مراقبة الداخل والخارج علاوة على تحصيل أجرة الإقامة بالمنشأة⁽³⁷⁾ ، والمترجم وهو المفسر للسان ونقل كلام من لغة إلى أخرى ، وكانت وظيفته مهمة في الأسواق حيث كان للتجار أجناس مختلفة ولغات مختلفة⁽³⁸⁾ ، والمثمن وهو الذي يقوم بتثمين السلعة ، والقباني وهو أحد الموازين التي اشتهرت بالدقة البالغة في تقدير الوزن⁽³⁹⁾ ، والكيال الذي يتولى كيل الغلال للناس مثل القمح والأرز والحنطة ، والبندار، والصارفة الذين يقومون بتبديل العملة وصرفها في السوق والجهايزة وتناط إليهم تحصيل الأموال⁽⁴⁰⁾ ، وشاد السوق وهو موظف له حق الإشراف والتفتيش على السوق، وكان من معاوني المحتسب في الأسواق⁽⁴¹⁾، وناظر الأسواق ينظر في الأموال، ويراقب تصرفاتها، ويرفع إليها حسابها لينظر فيه، ويتأمله فيمضى ما يمضى ويرد ما يرد⁽⁴²⁾ .

الحج :

توقف موسم الحج عدة مرات في العصر البويهي بسبب اعتراض القبائل البدوية لقوافل الحجاج ونهبها ،⁽⁴³⁾ واتسم موكب الحجاج العراقي بتنوع العناصر السكانية المشاركة فيه من غير العرب⁽⁴⁴⁾، وتأثر موسم الحج بالمناخ ، فكان لسوء المناخ كتأخر المطر واشتداد البرد سبباً في توقف الحج في العراق⁽⁴⁵⁾، وتعرض طريق الحجاج القادمون من أذربيجان⁽⁴⁶⁾ وبلاد فارس لهجمات الأرمن الذين شكلوا خطراً على القوافل المتجهة إلى العراق ، فمارسوا أعمال القتل والنهب⁽⁴⁷⁾ .
السلاجقة في بغداد :

عصفت بالخلافة العباسية فتن كبيرة مارستها الدول المجاورة لها ، ومن أبرزها الدولة الفاطمية التي وجدت ضالتها في البساسيري (ت 452هـ \ 1060م)⁽⁴⁸⁾ القائد العسكري التركي التابع لسلطة البويهيين والذي أصبح يشكل خطر على الخلافة العباسية وعلى الدولة البويهية في استعانتها بالفاطميين ، والخلاف الذي نشب بينه وبين الملك الرحيم البويهي مما يهدد النفوذ البويهي بالعراق وخصوصاً بعد ضياع أملاك البويهيين في بلاد فارس على يد السلاجقة، كما تحالف بدوره مع الأميرين العربيين " قريش بن بدران العقيلي⁽⁴⁹⁾ ونور الدولة ديبس بن علي بن مزيد الأسدي"⁽⁵⁰⁾ من العراق وما بين النهرين ولا يبدو هذا التحالف غريباً إذا نظرنا إلى الأمر من وجهة منطلق المصالح المشتركة إذ أن الذي جمع بين هذا الحلف هو أن الوجود التركي السلجوقي قد أصبح يهدد مصالح هؤلاء جميعاً. ولقد تمكن البساسيري فعلاً من الوصول إلى بغداد سنة 450هـ \ 1058م وخطب في جامع المنصور ببغداد للمستنصر بالله العلوي حاكم مصر⁽⁵¹⁾ " وأمر فأذن بحج علي خير العمل"⁽⁵²⁾ وحذف اسم الخليفة العباسي القائم بأمر الله بل أسر وأرسل إلى عانة⁽⁵³⁾ وظهر هذا العام أثر سياسة الفاطميين على الخلافة العباسية .

كانت هذه المواجهة الأولى بين السنة والشيعة، ويتخفى وراءها صراع بين أقوام إسلامية ثلاثة : العرب والفرس والترك ولقد تمكن السلاجقة من إحراز النصر فيها خاصة أنهم عرفوا كيف يركزون مواقعهم باعتبارهم حماة الدين الإسلامي السني فعندما وجه الخليفة العباسي نداء استغاثة إلى السلطان السلجوقي طغرل بك فحواه «تبه أن الإسلام في خطر فأسرع لدفع هؤلاء الملائع ولا تتقاعس عن نصره الدين حتى تعود الأمور إلى نصابها وترجع إلى سيرتها الأولى ويصل الحق إلى المستحق»⁽⁵⁴⁾ لم يتوان السلطان السلجوقي في الاستجابة لندائه فقمع انتفاضة البساسيري سنة 451هـ \ 1059م⁽⁵⁵⁾ وأرجع الخليفة العباسي القائم بأمر الله إلى بغداد .

وقد بدأ السلطان السلجوقي طغرل بك يقطف منذ وقت مبكر ثمار هذا الانجاز فتبدل لقبه من " ركن الدولة " إلى " ركن الدين " وبذلك اكتسب شرعية دينية وأصبح السلطان السلجوقي رمزا سياسيا ودينيا تتعلق به آمال خليفة المسلمين في حماية الإسلام من القرامطة والملحدين ، وكان على الخليفة العباسي أن يدفع ثمن إعادته إلى بغداد إذ أن السلطان السلجوقي طغرل بك قرر مصاهرة الخليفة العباسي حفيد النبي محمد صلى الله عليه وسلم ابتغاء تقوية مركزه الديني لا سيما وأنه من أصول غير عربية ، و أبدى الخليفة العباسي تحفظا إزاء هذه المصاهرة ، واستخدم السلطان السلجوقي وسيلة من وسائل الضغط لينبه الخليفة إلى تغيير المواقع ، فعمد وزير طغرل بك عميد الملك الكندري (ت456هـ \ 1063م) إلى " أن يضيق الخناق على عمال الخليفة ويوقف أرزاقهم حتى اضطرَّ الخليفة إلى إجابة مطلبه " (56) سنة 455هـ \ 1062م «مراعاة لظروف الوقت» (57) ويعلق ابن الأثير على هذه المصاهرة بين البيتين العباسي والسلجوقي مبديا تعجبه من جرأة السلاجقة : «وهذا لم يجر للخلفاء مثله فإن بني بويه مع تحكّمهم ومخالفتهم لعقائد الخلفاء لم يطمحوا في مثل هذا أو ساموهم فعله» (58) وإضافة إلى هذه المصاهرة السياسية الدينية وجه السلطان السلجوقي رسالة إلى الخليفة العباسي نصها " إن مصالح الدين والملك تلزمي المجيء إلى بغداد في كل وقت ومعني جند كثير وجيش جرّار متفرق في نواحيها فأرجو أن تعين لي الأرزاق حتى أستعين بها على النفقات التي ننفقها " (59) .

لقد كان الخليفة العباسي ، رغم هذه الضغوط التي مارسها السلاجقة على الخلافة العباسية، عاجزا عن الاستغناء عنهم وهذا ما يفسر أنه منح طغرل بك سنة 450هـ \ 1058م لقب " ملك أمراء المشرق والمغرب " (60) مانحا إياه تفويضا " بفتح " الأقاليم الخارجة عن الطاعة العباسية بما في ذلك الدولة الفاطمية في مصر ودولة المرابطين في بلاد المغرب والأندلس، باستثناء تونس التي اجتاحها أعراب بني هلال في هذه الفترة، ومع أن السلاجقة قد تمكّنوا من تحرير عدد من المناطق التابعة للنفوذ الفاطمي في الشام فإنهم عجزوا عن إسقاط الخلافة الفاطمية في مصر لعدة عوامل أهمها انشغال السلاجقة الشديد بفتح الأقاليم المسيحية المجاورة لدولتهم في الشرق ، وهذا الانشغال هو الذي سيميز سياسة آل أرسلان (455هـ - 466هـ \ 1063-1073) (61) خليفة طغرل وتفسيره قد يكمن في هذا الضغط البشري الهائل من القبائل التركية الوافدة حيث بدأت المنطقة تضيق بهم فرأى السلاطين السلاجقة أن يوجهوا هذه القبائل نحو بلد الروم أي ما يسمى بآسيا الصغرى وأن تقع تعبتهم دينيا وتوجيههم نحو حرب جهادية وفي ذلك يقول ابن الأثير «في سنة 440هـ \ 1048م غزا إبراهيم ينال الروم فظفر بهم وغنم وكان سبب ذلك أن خلقا كثيرا من الغز بما وراء النهر قدموا عليه فقال لهم بلادي تضيق عن مقامكم والقيام بما تحتاجون إليه والرأي أن تمضوا إلى غزو الروم وتجاهدوا في سبيل الله وتغنموا وأنا سائر على أثركم ومساعد لكم على أمركم ففعلوا» (62) .

وفيما يخص علاقات الدولة السلجوقية مع دول المنطقة وبالأخص العلاقات مع الدولة البويهية فقد شهدت توترا سنة 420هـ \ 1029م ، وذلك بسبب نزوح رعايا الدولة السلجوقية باتجاه أراضي الدولة البويهية ، حيث أحدثوا الفتن و القلاقل بين الأهالي في جميع المدن التي قدموا إليها ، فقد مارسوا النهب والقتل ، وتوضح المراسلات بين الدولتين تدمير الدولة البويهية من رعايا السلاجقة الذين أبدوا الاعتذار حول هذه التصرفات دون اتخاذ إجراءات على الأرض (63) وتهدد المسلمون خطر الروم في الشمال الذين غزوا بلاد الشام سنة 421هـ \ 1030م (64)

وخاضت الدولة السلجوقية في المشرق الإسلامي قبيل قدومها العراق مواجهات عسكرية مع الدولة الغزنوية بسبب ما أحدثه الغز السلاجقة من الخراب والقتل والسلب في البلاد ، فلاحقهم الغزنويين في حوارزم (65) وجبال طوس (66) ،

وخراسان⁽⁶⁷⁾، واستطاع الغزنويين أن يغنموا أموالاً كثيرة ولكن كان اهتمام الغزنويين بفتح بلاد الهند أكثر من ملاحقة السلاجقة الأمر الذي ساعد على توسع السلاجقة وازدياد نفوذهم في المشرق الإسلامي⁽⁶⁸⁾ وشكلت المقاطعات الشرقية محور الاهتمام بين دول المشرق الإسلامي، وتنافست الدولتين الغزنوية والسلجوقية في السيطرة عليها، لان السيطرة على خراسان بامتدادها الواسع يتيح للدولة المسيطرة مد نفوذها نحو العراق والهند وغزنة وتمكن السلاجقة في وقعة باب سرخس سنة 432هـ \ 1040م من الحاق الهزيمة بالغزنويين وامتلاك خراسان⁽⁶⁹⁾.

وبدأ السلاجقة يتوغلون داخل أراضي الروم فدخلوا جورجيا⁽⁷⁰⁾ واستولوا على «آني»⁽⁷¹⁾ عاصمة أرمينيا القديمة سنة 457هـ \ 1064م وفي سنة 460هـ \ 1067م وصل السلاجقة إلى قيصرية في كبادوس من بلاد الروم وحصلت سنة 464هـ \ 1071م المواجهة العسكرية الكبرى بين السلاجقة الأتراك والبيزنطيين بجوار "ملاذكرد" في بلاد الروم وانتصر السلاجقة بقيادة السلطان ألب ارسلان انتصاراً ساحقاً، إذ تمكنوا من أسر إمبراطور بيزنطة رومانوس ديوجين، وأبدى القائد التركي ألب ارسلان حكمة وتعقلاً سياسيين عظيمين إذ أثر أن يطلق سراح رومانوس على قتله مقابل فدية مقدارها ألف دينار وخمس مائة ألف دينار (150000) وأن يطلق الأسرى في بلد الروم وأن يرسل ملك الروم عساكره إلى ألب ارسلان متى طلبها مع هدنة مدتها خمسون سنة⁽⁷²⁾ لكن الأهم من هذه المعاهدة أن تم تبريك آسيا الصغرى وانتزاعها من بيزنطة المسيحية الأرثوذكسية التي بدأ نفوذها يتراجع في هذه المناطق وقد مثل ذلك البذور الأولى لإرساء الإمبراطورية العثمانية المقبلة.

تميز عهد طغرل بك وخليفته ألب ارسلان بالانتصارات العسكرية الباهرة التي أضفت صبغة جهادية على سياسة السلاجقة وكأها أعادت لم شتات الدولة الإسلامية، مما أعطى خلفاءهم فرصة الأهتمام بالأعمال التنظيمية والإدارية وخاصة ملكشاه، غير أن الأتراك السلاجقة اللذين أبدوا مهارة في الأداء العسكري لم تكن لهم خبرة موازية بالشؤون الإدارية اضطرتهم، فاستعانوا بالوزراء الفرس وأفادوا من خبرتهم التاريخية في مجال التسيير السياسي والإداري من ناحية وحتى يكونوا من ناحية ثانية همزة وصل بينهم وبين سكان المنطقة. فسيطر الفارسيون على المناصب الإدارية السلجوقية واحتصوا بمنصب الوزراء وأظهروا مهارة فائقة في إدارة شؤون البلاد والعباد بل إن السيطرة العسكرية التركية كثيراً ما توارت خلف دور الوزراء الفارسيين الذين استطاعوا أن يحافظوا على الحد الأدنى من الوجود السياسي الفارسي ضمن الحضارة الإسلامية فوزر محمد بن المنصور الكندري المثقف الشاعر و " المؤسس الحقيقي للنظام الإداري السلجوقي " ⁽⁷³⁾ لطغرل بل الذي وجد فيه الشخص الجامع بين الثقافتين العربية والفارسية وكان ذلك شأن نظام الملك (1018م - 1092م)⁽⁷⁴⁾ وكان من الطبيعي أن يظهر بينهما تنافساً دفع نظام الملك لاعتقال الكندري وقتله .

نظام الملك وزيراً للسلاجقة :

فسح زوال الوزير الكندري بظهور نظام الملك على المسرح السياسي إذ يعد أشهر وزير فارسي سلجوقي على الإطلاق وأكثرهم نفوذاً إذ " كان نفوذه أقوى من نفوذ السلطان السلجوقي والخليفة العباسي في ذلك الوقت " ⁽⁷⁵⁾ ، لقد حمل نظام الملك الطوسي على عاتقه مهمة توطيد أركان السلطنة السلجوقية وقيادة الجيوش بنفسه وإخماد الفتن التي قامت بها القبائل التركمانية وقمع تمردات أمراء البيت السلجوقي ⁽⁷⁶⁾ ، والتغيير في بنية الجيش السلجوقي من الاعتماد على القبائل التركمانية إلى نظام الغلمان (الماليك) ⁽⁷⁷⁾ والتوسع في نظام الإقطاع العسكري " إذ كانت العادة جارية قبل نظام الملك بعباية الأموال من البلاد وصرفها إلى الأجناد ولم يكن لأحد من قبل إقطاع فرأى نظام الملك أن الأموال لا تحصل من البلاد لاحتلالها ولا يصح منها ارتفاع لاعتلالها ففرقها على الأجناد إقطاعاً وجعلها لهم حصلاً وارتفاعاً فتوفرت دواعيهم

على عمارتها وعادت في أقصر مدّة إلى أحسن حالة من حليتها " (78) إضافة إلى أنه زاد رواتب العسكر 700 ألف دينار في عهد ملكشاه (79) ولتحويل الجيش إلى جيش مركزي سعى نظام الملك إلى استبدال العنصر التركماني بالغلماان المماليك من أجل توطيد سلطة السلاجقة (80) .

وخلاصة القول أنّ نظام الملك أصبح أهم شخصية فارسية سلجوقية مكنت إنجازاتها من دفع قوى للإسلام السني ، وتوفي نظام الملك بطريقة غامضة جدا سنة 485هـ \ 1092م (81) ، فتوجهت الاتهامات إلى الحركة الإسماعيلية إذ يقول ابن الأثير: " في هذه السنة [485 هـ] عاش رمضان قتل نظام الملك أبو علي الحسن ابن علي بن إسحاق الوزير بالقرب من نهاوند أتاها صبي ديلمي من الباطنية في صورة مستميج أو مستغيث فضربه بسكين كانت معه فقضى عليه " (82) بينما يقول الراوندي في كتابه راحة الصدور: " لما وصل الجيش إلى نهاوند أغرى " تاج الملك " الملاحدة المخاذيل [الإسماعيلية من أتباع حسن الصباح فضربوا نظام الملك بالخنجر وقتلوه " (83) ، ويكشف لنا هذا الوصف ميول الراوندي إذ أنه يمجّت الفرق المعارضة كالباطنية والإسماعيلية واصفاً إياهم بالملاحدة ، وأيا كانت الجهة الضالعة في اغتيال نظام الملك فإنّ هذا الحدث يعدّ حداً فاصلاً بين مرحلتين في تاريخ الدولة السلجوقية فبموته خسرت الدولة السلجوقية مهندس سياساتها لمدة ثلاثين سنة ولم يعيش السلطان ملكشاه بعده إلاّ أياماً معدودات وبذلك دخل السلاجقة مرحلة جديدة من تاريخهم اتّسمت بحرب داخلية حقيقية بين أبناء السلطان ملكشاه .

وصاحبت حالة الفوضى العارمة التي عصفت بدولة السلاجقة قيام أزمات اقتصادية متتالية تضررت منها فئات واسعة من المجتمع فشعرت بالاضطهاد ممّا ساعد على ظهور الحركة الإسماعيلية في شكل جديد بقيادة حسن الصباح رفيق نظام الملك السابق (429هـ \ 1037م - 518هـ \ 1124م) (84) اتخذت الحركة الإسماعيلية طابعاً عدائياً تجاه الدولة السلجوقية وجندت في سبيل ذلك الفدائيين حيث استهدفوا قيادات الدولة السلجوقية بدعم من الفاطميين في مصر التي سعت إلى إضعاف الدولة السلجوقية ، فبحثت عن طرق أخرى تقوّض بها سلطة السلاجقة ، فقد اتصل حسن الصباح سنة 468هـ \ 1075م بالفاطميين عارضا عليها خدماته لنشر الدعوة الفاطمية في بغداد (85) وبلاد فارس فوجد ترحيبا كبيرا من قبل بعض الأوساط الفاطمية مثلما واجه معاداة من الوزير الفاطمي بدر الجمالي (405هـ \ 1014م - 487هـ \ 1094م) (86) الذي عمل على طرد حسن الصباح من مصر لغايات سياسية ، فعاد حسن الصباح إلى أصفهان سنة 475هـ \ 1082م وباشر الدعوة إلى الإسماعيلية بسرية تامة، فلم تعرف أحوال الدعوة إلاّ حين تمكنهم من اغتيال نظام الملك أهم الشخصيات البارزة في الدولة السلجوقية بالاعتماد على فدائييها وفي ذلك يقول ابن الأثير: " أوّل ما عرف من أحوالهم أعني هذه الدعوة الأخيرة التي اشتهرت بالباطنية الإسماعيلية في أيام ملكشاه فإنّه اجتمع منهم ثمانية عشر رجلا فصلّوا العيد في ساوة (87) فظن بهم " الشحنة (88) " فأخذهم وحبسهم ثم سئل فيهم فأطلقهم فهذا كان أوّل اجتماع لهم ، ثم قتل نظام الملك ومات السلطان ملكشاه فعظم أمرهم واشتدت شوكتهم وقويّت أطماعهم " (89) لقد استغل الإسماعيليون إلغاء السلاجقة "ديوان البريد" الذي تشبه وظيفته جهاز الاستخبارات حاليا لنشر دعوتهم بين قطاعات واسعة من المجتمع بتوجيه من حسن الصباح .

ونحن في حقيقة الأمر، لا نعرف شيئا كثيرا عن حياة هذا الداعية سوى معلومات قليلة منها ما كتبه عن نشأته الأولى وبداية تكوينه المذهبي : " منذ أيام طفولتي وأنا في السابعة من عمري أحببت مختلف فروع المعرفة وكنت أتوق لأن أكون من علماء الدين وظللت حتى سن السابعة عشر دارسا وباحثا في المعرفة ولكنني ظللت على عقيدة أجدادي الإثني عشرية وذات يوم التقيت بأحد الرفاق يدعى عميرة زاراب كان من وقت لآخر يدعو إلى نظرية الخلفاء في مصر ، كما كان

يفعل آخرون من قبله ، وكانت هناك خصومات ومناقشات بيننا تمكن خلالها من تدمير عقيدتي واثبات بطلانها " (90).

وابتدأ حسن الصباح نشر دعوته في منطقة الديلم شمال بلاد فارس وخاصة في أقاليم الخزر كجيلان ومازندران شمال سلسلة الجبال التي تحيط بالهضبة الفارسية الكبرى (91) لقد بدأ الإسماعيليون من تلك المناطق مرحلة جديدة من نضالهم ضد السلاجقة تمثلت في سعيهم إلى السيطرة على أكبر عدد ممكن من القلاع والحصون لاتخاذها قواعد لهم وأولها ببلد قرب " قاين " ثم تواصلت عمليات السيطرة على القلاع فملكوا قلعة " وسمنكوه " قرب "أهر" (92) سنة 484هـ \ 1091م ، ثم قلعة "خالنجان" قرب أصفهان في بلاد فارس وقلعة "استوناوند" بين الرّي (93) وآمل (94) وأدرهن وقلعة "كردكوه" وقلعة "الناظر" بخوزستان (95) وقلعة "الطنبور" قرب أرجان (96) وقلعة "خلادخان" بين فارس وخوزستان إلا أنّ أهمّ إنجاز حققه الإسماعيليون هو الاستيلاء على قلعة "الموت" سنة 483هـ \ 1090م التي اتخذها حسن الصباح مركزا للدولة الإسماعيلية الترابية (97) المفترضة وتتميز القلعة بحصانة أمنية فائقة لموقعها في "قلب جبال البورج حيث لا يمكن الوصول إليها إلا عبر طريق ضيق شديد الانحدار كثير المنعطفات الصخرية العمودية الناتئة بين حين وآخر" (98) أما ثاني قلعة من حيث الأهمية تمكّن الإسماعيليون من السيطرة عليها، فهي قلعة "شاهدز" (99) وتمكّن أهميتها في قربها من أصفهان عاصمة السلطان السلجوقي وبذلك مثل الإسماعيليون تهديدا جديا لدولة السلاجقة.

استطاع حسن الصباح وأتباعه تأسيس مناطق داخل هذه القلاع وما جاورها تتمتع باستقلال فكري وسياسي واقتصادي مخترقين وحدة النظام الإداري السلجوقي حتى "صارت الإسماعيلية سلطة عاصمتها " ألموت " يتوافق نظامها مع سكان الجبال" (100) فكان للإسماعيليين مصانعهم الخاصة بسك العملة (101) وعمل الإسماعيليون بقيادة حسن الصباح "على تطوير زراعة وادي ألموت وأنظمة الرّي فيه وتوسيعها محولين المكان إلى بيئة ذات اكتفاء ذاتي في إنتاجها طعامها وشملت هذه السياسة أيضا الحصون الإسماعيلية الأخرى" (102) وكان ذلك تحضيرا للمواجهة التي كان لابد منها بين الإسماعيليين والجهاز السياسي والديني لدولة السلاجقة.

ولقد نجح الإسماعيليون في توجيه ضربة قاصمة للسلاجقة باغتيالهم نظام الملك الوزير السلجوقي الذي دخلت الدولة السلجوقية بعده مرحلة الانقسام والتمزق فاستغل الإسماعيليون ذلك للقيام بأكثر عدد من الاغتيالات التي تفاقمت بين سنتي 488هـ \ 1095م و 493هـ \ 1099م فقتلوا سنة 488هـ \ 1095م عبد الرحمن السميرمي وزير أم السلطان بركيارق زبيدة ، و"أرعرش" النظامي مملوك نظام الملك بالري ، وقتلوا برسق وهو من أكابر الأمراء ، وقد تولّى منصب شحنة بغداد كما قتلوا الشيخ أبا جعفر بن المشاط وهو من شيوخ الشافعية سنة 498هـ \ 1104م وقتلوا القاضي أبا العلاء صاعد بن أبي محمد النيسابوري الحنفي المذهب بجامع أصبهان (103) سنة 499هـ \ 1105م ، وقتلوا سنة 500هـ \ 1106م فخر الملك ابن نظام الملك (104) ، وتمثل هذه الأسماء عددا من أبرز الشخصيات السياسية والعسكرية والدينية للدولة السلجوقية التي استهدفها الإسماعيليون في محاولة لزعزعة أركان النظام السلجوقي إلا أنّهم اعتمدوا كذلك على سياسة التغلغل داخل الدولة السلجوقية ، وعقدوا مجموعة من التحالفات مع رموز من النظام السلجوقي إذ أشعلوا النزاع بين بركيارق وأخيه محمد وتمكنوا من زرع عناصرهم في معسكر السلطان بركيارق خاصة وتكوين تحالفات معينة داخله ولذلك أصبح أعوان معسكر السلطان محمد هدفا لهجماتهم فقتلوا من هذا المعسكر شحنة أصبهان سومر (105)

وفيما يخص الإقطاع ، فقد عرفت الدولة البويهية الإقطاع ومنحت اقطاعات على شكل هبات لفتات سكانية لمواقفهم في خدمة الدولة (106) ، كما عرف السلاجقة الإقطاع العسكري ، فقد تم توزيع اقطاعات من الأراضي على أمراء السلاجقة

كطعمة لهم على جهودهم العسكرية⁽¹⁰⁷⁾ ، واتخذ الإقطاع العسكري للأمرء السلاجقة أشكال بدائية في سهوب تركستان⁽¹⁰⁸⁾ ، واعتمد أمرء السلاجقة وهم زعماء قبليون في مواجهاتهم العسكرية مع أعدائهم على أفراد العشيرة (أهل العصية)⁽¹⁰⁹⁾ ، وتمكن السلاجقة بتميزهم في مرواغة أعدائهم وإطالة الحرب ، واتباع الكر والفر أن يهزموا الغزنويين ويحصلوا على نيسابور وبلخ ومرو قصبه خراسان ، وخطبوا لأنفسهم بها ، واتخذوا لقب " ملك الملوك " ،⁽¹¹⁰⁾ وفي عام 433هـ \ 1041م تمكن السلاجقة بقيادة ملكهم طغرل بك بن سلجوق من توسيع ملكهم وضم حرجان⁽¹¹¹⁾ وطبرستان من خلال تلك الغزوات التي قاموا بها والهجرات المتلاحقة والتي كان دستورها يعطي لكل قبيلة نصيبها من الأراضي المشاعة ، والتي تنص على الملكية المشتركة للأرض⁽¹¹²⁾ .

وخاضت الدولة السلجوقية حروباً كثيرة مع أعدائها المجاورين لها في المشرق الإسلامي ، ففي سنة 434هـ \ 1042م تمكن طغرل بك من ضم خوارزم بعد حصار طويل ، والمعروف أنها كانت من أملاك الدولة الغزنوية⁽¹¹³⁾ ، واستمر توغل السلاجقة في المشرق الإسلامي ، فاستطاعوا ضم الري وقزوین⁽¹¹⁴⁾ من أملاك بنو بويه⁽¹¹⁵⁾ ودخلت بلاد الديلم تحت طاعة السلاجقة سنة 434هـ \ 1042م ، وهمدان ، ودهستان ، ومدت دولة السلاجقة حدودها نحو كرمان⁽¹¹⁶⁾ الأوضاع الاجتماعية في العراق وجواره :

طراً على المجتمع الإسلامي بدخول الأتراك السلاجقة تحولات عميقة زادت من حدة التناقضات التي كانت تهزه بل كشفت عن تحولات داخل هذا المجتمع وقد تنبه الأتراك السلاجقة من البداية إلى المضاعف التي كانت تحول دون اندماجهم في المجتمع الإسلامي فلجأوا إلى المصاهرات السياسية والحضارية بين السلاجقة والبيت العربي العباسي من ناحية وبين السلاجقة وبنو بويه والخانيين⁽¹¹⁷⁾ من ناحية ثانية⁽¹¹⁸⁾ أما البيت العربي العباسي فكسب الشرعية المتبغاة ، في حين كانت الصلة مع بني بويه والخانيين تهدف إلى كسب ولاء الحكام والإمارات العربية والكردية في العراق وبلاد الشام إلى جانب السلاجقة في مواجهاتهم للدولة الفاطمية ، وخطر الدعوة الإسماعيلية في الأقاليم الشرقية ولتثبيت أركان دولتهم ، فمنذ أن حلّ السلاجقة بالمجتمعات الإسلامية تعرضت العامة لأعمال من النهب المصحف من عسكر السلاجقة إليه ففي سنة 438هـ \ 1046م نهب العسكر مدينة حلوان⁽¹¹⁹⁾ " وفعلوا في تلك النواحي أفحج فعل " ⁽¹²⁰⁾ وفي سنة 447هـ \ 1055م وبمناسبة وصول طغرل بك إلى بغداد نهب العسكر السلجوقي " درب يحي ودار سليم والرصافة وترب الخلفاء واحذوا منها كثيراً من الأموال " فاشتدّ البلاء على الناس وعظم الخوف ونقل الناس أموالهم إلى باب النوبى وباب العامة وجامع القصر فتعطلت الجماعات لكثرة الزحمة " ⁽¹²¹⁾ وانتشر العسكر في بغداد فنهبوا من الجانب الغربي تكريت⁽¹²²⁾ ومن الشرقي إلى النهروانات وأسافل الأعمال وفي سنة 494هـ \ 1100م خربّ العسكر دامغان⁽¹²³⁾ .

ويظهر لدينا الآثار السلبية المترتبة حول دخول السلاجقة للعراق ، فقد سجلت اعتداءات على ممتلكات الناس في أزمات اقتصادية متلاحقة تضررت منها جميع فئات المجتمع. ففي سنة 457هـ \ 1055م " بلغ ثمن الثور ببغداد خمسة قراريط ⁽¹²⁴⁾ إلى عشرة والحمار بقراطين إلى خمسة ⁽¹²⁵⁾ ، وفي سنة 448هـ \ 1056م انقطعت الطرق خوفاً من النهب فغلت الأسعار وانعدم القوت " وأكل الناس الميتة ولحقهم وباء عظيم فكثرت الموت حتى دفن الموتى من دون غسل ولا تكفين وبيع رطل لحم بقيراط وأربع دجاجات بدينار ورتلا شراب بدينار " ⁽¹²⁶⁾ وفي سنة 448هـ \ 1057م ارتفعت الأسعار في بغداد ارتفاعاً نشطاً " فبيعت كارة ⁽¹²⁷⁾ الدقيق السميد بثلاثة عشر دينارا والكاراة من الشعير والذرة بثمانية دنانير وأكل الناس الميتة والكلاب وكثر الوباء حتى عجز الناس على دفن الموتى فكانوا يجعلون الجماعة في حفيرة واحدة " ⁽¹²⁸⁾ وفي سنة 502هـ \ 1108م لم يأكل أغلبية المجتمع في العراق " طوال شهر رمضان ونصف شوال سوى الحشيش

والتوت " (129) نتيجة الغلاء العظيم وفي سنة 517هـ \ 1123م عادت موجة الغلاء لتجتاح العراق خاصة ونتج عن ذلك انتشار الأمراض ففضى على الكثير من الناس .

ويفسر هذه السياسة العسكرية هو نهج الحصار والحرب الطويلة الذي انتهجه السلاجقة في فتح المدن والأقاليم وكذلك حدة صراعاتهم مع خصومهم مما أدى إلى تردّي الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والصحية في تلك المناطق المحاصرة خاصة. إذ أسفر حصار السلاجقة لمدينة شيراز سنة 417هـ \ 1055م إلى ارتفاع كبير في الأسعار فمات أغلب أهلها جوعاً حتى تعدّد المقام فيها (130) لقد أدّت هذه السياسة العسكرية إلى تضرّر كلّ قطاعات المجتمع وإن كان ذلك بنسب متفاوتة ، وإلى تزايد عدد الفقراء والمعدمين وانتشار الأوبئة وتزايد عدد الأموات.

الفتنات السكانية :

تنوعت الفتن التي خضعت لدولة السلاجقة كالديلم الذين ينحدرون إلى خوزستان ، وملكوا أدوات التأثير في الدولة البويهية (131) ، وصدر عنهم مفاسد في المجتمع وانتهاك للحرمات في المناسبات الدينية كشهري رمضان المبارك ، ومن المفاسد التي صدرت عنهم شرب الخمر وممارسة الفاحشة والمجاهرة فيها، والإساءة إلى المجاورين لهم من العرب ، والتعدي على حرماهم (132) ، واصطدم الديلم مع الأتراك ، حدثت خلالها اشتباكات كبيرة أسفرت عن أعمال قتل وسلب ونهب للممتلكات ، ومما يدل على ذلك الصراع الذي حدث بين الأتراك والديلم في البصرة سنة 419هـ \ 1028م ، وامتدت هذه الصراعات إلى أنحاء مدن الخلافة في الشمال والجنوب ، واستغلت خلالها الفتن الاجتماعية الأخرى هذه الأحداث لصالحها كالعيارون ، فقد كانت تنشط فئة العيارون والموالون للعباسيين في مثل هذه الأحداث فافسدوا ونهبوا الأموال (133) ، وكان رئيس العيارون يسمى العقيد ، وكانت بين العيارون والجنود مواجهات عسكرية واعتقالات بين الطرفين (134) ، ولم يكن نفوذ العيارون محصوراً في بغداد ، بل نجد لهم امتداد في مدن المشرق الإسلامي الأخرى ، حيث برز لهم نشاط واسع في نيسابور استغلوا خلالها انشغال الدولتين الغزنوية والسلجوقية في حروبهما المستمرة ، فعاثوا فساداً في نيسابور سنة 432هـ \ 1040م ونهبوا أموال الأهالي ، واعملوا القتل في أهلها ، وارتكبوا الفواحش وتعدوا على الحرمات (135) ، ومن الفتن السكانية الأكراد الذين قطنوا شمال العراق وهمذان ، وسجلت لهم صدامات مع الأتراك الذين زاد شغبهم على ولاية الدولة (136) ، وانتشر لصوص من الأكراد في بغداد وسرقوا دواب الأتراك ، وتمرد جمع من الأكراد وجمع من الأعراب وقطعوا الطرق ونهبوا القرى احتجاجاً على اضطهاد العسكر السلجوقي لهم (137)

ومن الفتن الأخرى الغز وهم من القبائل التركية سكنوا بلاد الجبل وغادروا بلادهم بسبب هجمات الأتراك عليهم ، واستقروا في ديار بكر والموصل (138) سنة 420هـ \ 1029م ، فمارسوا أعمال النهب و القتل للأهالي ، وحدثت مواجهات عسكرية مع العرب التي كانت سجال ، وأصابوا منهم كثيراً ، كما وتمكن الغز من الاستيلاء على الموصل واتبعوا سياسة تعسفية في جمع الأموال ، وأساءوا الأدب والقول في التعامل مع أعيان الموصل ، وجرت مشاجرات بين أهالي الموصل و الغز نتيجة اعتداءاتهم المتكررة على الرجال والنساء ، فثار عليهم الأهالي وقتلوا من الغز من ظفروا به ، لكن تمكن الغز من إخماد ثورتهم (139) ، وشارك الغز في المواجهات العسكرية التي جرت في بلاد فارس وكان لهم نصيب في الغنائم ، وفتكوا في الأطراف (140) .

وقطنت جماعات من اليهود في الكرخ التي تقع في بغداد ، وبرز دورهم في الفتن بين السنة والشيعة تعرضت خلالها دورهم للنهب بسبب اشتراكهم في هذه الفتن ، ويدل على ذلك تجدد الفتنة بين السنة والشيعة في بغداد سنة 422هـ

\ 1030 م ، وبرز خلالها دور اليهود الذين نُهبت بيوتهم (141) .

وتراجع العنصر العربي بين هذه الفئات حيث كانوا بعيدين عن الوصول إلى السلطة ، فلا العصبية باقية فيهم لتوفير القوة والنصرة ، ولم يعد النسب واضح لاختلاط الأجناس والأقوام ، وإكثارهم من أبناء الإماء والجواري وأمهات الأولاد ، وشيوع الانتحال والادعاء في الانتماء إلى قريش وآل البيت وأعيان الصحابة ؛ ولا الوعي السلوكي متوفر في كبار رجالات العرب إذ اتجهت غالبيتهم إلى الابتذال وأدبيات الخلاعة والمجون بعد أن حيل بينهم وبين السلطة ، وعجزوا عن مجارة الأعاجم في ميادين العلوم ؛ وفرطوا في القوة الاقتصادية التي كانت بأيديهم ، لأن سلاطين عصرهم احتكروها وتداولوها واستغلوها لكل غاية يرجى نفعها (142) .

الطبقات الاجتماعية :

تميّزت الطبقة العسكرية السلجوقية بضعف انتماءاتها المذهبية والسياسية إذ كانت تسعى فقط إلى التمكين لمواقعها الخاصة لذلك كثيرا ما غيّرت هذه الطبقة ولاء بولاء حفاظا على مصالحها ففي الحرب الصليبية الأولى (389هـ \ 1095 - 493هـ \ 1099م) التي من المفترض أن يكون الولاء فيها للدين وحده كان كثيرا من القواد العسكريين السلاجقة يضطرون إلى عدم إطالة المقام في مكان واحد لأن العسكر السلجوقي كانت غايته كسب الغنائم فقط" فإذا طال المقام تفرّقوا عن قادتهم" (143) .

ومن الطبقات الأخرى طبقة موظفي الإمبراطورية السلجوقية من أصحاب الدواوين والحجاب والأتابك وهي طبقة كانت تضم أعدادا هامة نظرا إلى اتساع مملكة السلاجقة من جهة ونظرا إلى استقلال الأقاليم التابعة للدولة السلجوقية إداريا من جهة ثانية ونظرا إلى اختصاص زوجات السلاطين كذلك بجهاز إداري كامل من وزراء وحجاب وموظفين من جهة ثالثة. وكان عمود هذه الطبقة الفقري مكوّنا من الفرس الذين استعانت بهم الدولة السلجوقية في مشاريعها التأسيسية (144) ويبدو أن هذه الطبقة لم تكن تتمتع باستقلال إداري كبير في الدولتين البويهية والسلجوقية ، إذ كثيرا ما تدخل العسكر والسلاطين وزوجاتهم في طرق إدارتها ، ثم إن هذه الطبقة كانت من جهة ثانية طبقة متحرّكة غير مستقرة لعدم استقرار الدولة السلجوقية نفسها فباستثناء نظام الملك (454هـ \ 1062-485هـ \ 1092م) الذي تمكّن من الحفاظ على منصبه مدّة ثلاثين سنة فإنّ مدّة خدمة غيره من الوزراء لم تكن تتجاوز أحيانا أيّاما معدودات ومن المعروف أنّ التغيير الدائم في الإدارة يعدّ من أكبر أخطاء الدولة بدليل أنّ طول مدّة خدمة نظام الملك قد عاد بالنفع على الدولة السلجوقية .

أمّا ثالث الطبقات فهي البدو السلاجقة وهم في مرحلة قدمهم إلى بغداد وكانوا أهل دولة عسكرية ومتأثرة بالدولة البيزنطية ولا حظّ لهم في الحضارة ولقد شجّع السلاطين السلاجقة وفودها واستيطانها في بلاد فارس والعراق خاصة ، سعيا منهم لإيجاد قاعدة تجمعهم وتنعصب لهم وتمدّهم بما تحتاج إليه الدولة من دعم تركي سلجوقي (145) .

ولقد كانت هذه الطبقة مثار حزازات عصبية وعرقية لأصولها البدويّة التي كانت كثيرا ما تنح بها للغزو والاعتداء المستمر على السكان وذلك رغم أنّ الدولة السلجوقية قد مكنتها من مرتبات كالجنود سواء بسواء بل منحها اقطاعات أدّت إلى حركة استيطانية حقيقية لم تحل في بعض الأحيان دون تمرّد لهؤلاء البدو على الدولة السلجوقية نفسها مطالبة بإبائها بزيادة الرواتب والاقطاعات (146) .

مقت الأهالي البدو لميلهم إلى الغزو ، وقد كتب عماد الدين الأصفهاني عن هذه الطبقة ما يدفع القارئ إلى استحضار ما كتب عبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ \ 1405م) في أعراب بني هلال وسليم الذين اجتاحتوا بعضا من بلاد

المغرب (ليبيا وتونس الحاليين) في هذه الفترة بالذات يقول : " لم يترك الترك وردا إلا شعثوه ولا حسنا إلا شوّهوه ولا نارا إلا أرشوها ولا دارا إلا شعثوها ولا عصمة إلا رفعوها ولا وصمة إلا وضعوها وأجفل الملوك من خوف أقدامهم وتنحوا من طريق ضرامهم فما جاؤوا إلى بلدة إلا ملكوا مالكمها وملأوا مسالكها وأرعبوا ساكنيها وأسكنوها الرعب وغلبوا ولآتها وولوها الغلب وازوروا إلى الزوراء وأشاعوا مدّ اليد بالغايرة الشعواء" (147) لقد تعرّضت مختلف الأقاليم الإسلامية "لهزّة بدوية" سببها دخول القبائل السلجوقية هذه الأقاليم ، يقول ابن الأثير : " ففي سنة 429هـ \ 1037م دخل الأتراك مراغة فقتلوا عددا كبيرا من الأكراد ثم قصدوا الرّي فنهبوا نهباً فظاً ثم مروا بالكرج (جورجيا حالياً) وفعّلوا فيها "الأفاعيل الشنيعة" وفي سنة 430هـ \ 1038م دخلت القبائل التركية السلجوقية همدان فنهبوا نهباً منكراً لم يفعلوه بغيرها من البلاد" (148).

وكانت الدولة السلجوقية عاجزة تماما عن كبح جماح هذه القبائل عجزا دفع بنيكيتا ايليسيف إلى اعتبار ما حدث مسرحية محكمة الإخراج أباح فيها الحكام السلاجقة أفعال البدو السلاجقة حتى يتمكنوا فيما بعد من الظهور بمظهر المتدخل لكفّ أذى هذه القبائل والقضاء على الفوضى مما يكسبهم شرعية لدى العامة (149).

ومن الطبقات الاجتماعية الأعيان من كبار الشخصيات بين الأهالي في فترة القرن الخامس الهجري \ الحادي عشر الميلادي ، ومن أبرز هؤلاء الأعيان العلماء الذين كانوا غير ملازمين لرجال السلطة ، وفي المقابل يحظون بالاحترام (150) ، ومن الأعيان الوزراء والفقهاء والقضاة الذين حصلوا على اهتمام المؤرخون المسلمون في تلك الفترة (151).

برزت خلافات بين الأهالي والأتراك السلاجقة أدّى في العديد من الأحيان إلى مواجهات دامية بين الأتراك السلاجقة والأهالي الذين بدأوا يشعرون أنّ هناك تغيرات اجتماعية تحدث أهمّها الاندماج بين العناصر السكانية التركية والفارسية والعربية ، كما أنّ هذه التغيرات شملت أيضا التركيبة الطبقيّة للمجتمع وقد كتب الوزير محمد الحسيني اليزدي (ت 743هـ \ 1342م) عن هذه التغيرات بأسلوب مأساوي يقول : " في مدينة مرو التي كانت منذ عهد جغري بك (طغرل) إلى زمانهم مقر السلاطين الماضين وخزائن الملوك السالفين نهبوا النفائس والدفائن والذخائر والخزائن لكل مقيم ومستوفر ومحسود وحاسد وقاصد ومقتصد واغتصبوا متاع كل غني وفقير وكبير وصغير وفاضل وراجع ومن آثار دمار ذلك الجيش المتوحش في تلك الربوع والديار أنّ الأغنياء سقطوا من مسند العزّ مثل صديق المعشوق القديم الوفاء ووقعوا في قيد العجز والعوز وأصبح أمر المنعمين المرفهين مضطربا مثل طرّة المعشوقة الجميلة الأسيرة للقلوب وانكسر الفقراء من تلك الواقعة وجرحت قلوبهم وصار الأغنياء أصدقاء الفقراء ومن أهلهم " (152).

لقد شمل التغيير كلّ فئات المجتمع فكما تضرّر الفقراء من هذه الأحداث تضرّر الأغنياء كذلك ، وفقد عدد منهم مواقعهم الاجتماعية القديمة ، ومن هؤلاء نذكر العرب والفرس خاصة و" ذهب القوّة والثروة والمناصب إلى رجال جدد كانوا في الحقيقة وافدين غرباء لم تمتصّهم الحضارة المدنية للشرق الأوسط الإسلامي وقد ازداد مركز الطبقة الممتازة والقديمة ضعفا" (153) ، ومن الجدير بالذكر أنّ الخلافات بين هذه الفئات قد أفرز حالات من الاعتداءات على المساجد والأبواب ومراكز العبادة للفرق المذهبية الأخرى (154).

ويبدو أنّ الأهالي عبّروا عن ثورتهم على أوضاعهم بأشكال عدّة منها الانضواء ضمن الحركات المعارضة للسلاجقة التي كانت منذ أقدم العصور تعدّ المستضعفين في الأرض بتحقيق حياة أفضل على الأرض ، واستطاعت هذه الحركات المعارضة للدولة أن تتخيّر أساليب دعوتها انطلاقا من طبيعة الجمهور الذي تتوجّه إليه بدعوتها أي تحديد موقعه الاجتماعي والاقتصادي و الفكر الذي يناسب هذا الجمهور .

الأوبئة :

فتكت الأوبئة بالناس ، فقد أصاب العراق والشام وفارس والهند وباء شديد سنة 423هـ \ 1031م ، وكثر الموت ، فدفن في المدينة الواحدة في عدة أيام أربعون ألف نفس ، ومن الأمراض المنتشرة تورم الكبد ، والجدري الذي أودى بحياة أربعة آلاف صبي في الموصل⁽¹⁵⁵⁾ حتى طال هذا المرض الخليفة القائم بأمر الله وسلم⁽¹⁵⁶⁾ ، وأصاب العراق وباء شديد سنة 437هـ \ 1045م هلك خلالها الخيل ، وتوفي اثنا عشر ألف فارس من عساكر الدولة البويهية⁽¹⁵⁷⁾ .

تعرضت مدن المشرق الإسلامي لموجات كبيرة من الغلاء لأسباب تتعلق بعوامل طبيعية كالجفاف وعدم سقوط الأمطار وما يعقب ذلك عادة من انتشار الأوبئة ففي سنة 401هـ/1010م تعرضت خراسان إلى وباء عظيم وجدب وقحط وكان السبب في ذلك نزول الصقيع في وقت مبكر من تلك السنة، وعجز الناس عن دفن موتاهم⁽¹⁵⁸⁾ ، وأدى ذلك إلى هلاك المزارع والمواشي مما تسبب في انعدام الأوقات وندرتها، وانعكس ذلك على ارتفاع أسعار المواد الغذائية واختفائها مما اضطر الناس إلى أكل الدم والأعشاب وتسبب ذلك في وفاة ما يقرب من مائة ألف نسمة من سكان مدينة نيسابور وضواحيها⁽¹⁵⁹⁾ ، مما أثر على حركة الأسواق ، وفي سنة 423هـ /1031م حدث وباء شديد في خراسان ، وكثر الجدري في الناس ، وانتشر وباء الطاعون في غزنة مما أدى إلى انعدام الأيدي العاملة و بالتالي تدهور شأن الأسواق⁽¹⁶⁰⁾ .

كثر الموت في بلاد كثيرة من العراق والشام والموصل وخورستان "حتى كانت الدار يسدّ بها لموت أهلها"⁽¹⁶¹⁾ وفي سنة 449هـ \ 1057م كثر الوباء ببخارى " حتى قيل أنه مات في يوم واحد ثمانية عشر ألف إنسان"⁽¹⁶²⁾ وكان بسمرقند مثل ذلك ، وبقيت أموال الناس سائبة وفي سنة 1076م كان بالجزيرة و العراق والشام وباء عظيم وموت كثير حتى "بقي كثير من الغلات ليس لها من يعلمها لكثرة الموت في الناس"⁽¹⁶³⁾ وفي سنة 1099م انتشر الموت انتشارا واسعا إضافة إلى الإعدامات الجماعية التي نفذتها الدولة في أتباع الحركة الإسماعيلية في يوم واحد تمّ إعدام مائة ألف إسماعيلي وبني من جماجمهم منارات يؤذن فوقها⁽¹⁶⁴⁾ " فحمل في بعض الأوقات ستة أموات على نعش واحد"⁽¹⁶⁵⁾ ويبدو في هذه الرواية المبالغة بالأرقام التي توردها .

وفي سنة 431هـ/1029م ارتفعت أسعار الخبز في نيسابور وطوس فبلغ ثمن الطن من الخبز ثلاثة عشرة درهماً، وكان نادراً، أما الشعير فلم يره أحد، وهلك كثير من الناس والدواب من شدة القحط⁽¹⁶⁶⁾ ، وفي سنة 459هـ/1066م حدث غلاء شديد في خراسان بسبب انتشار الأوبئة ، وفي سنة 464هـ/1071م غلت الأسعار بخراسان وتعذر وجود اللحم لوقوع الموت في الحيوانات⁽¹⁶⁷⁾ ، وكان بخراسان غلاء شديد سنة 492هـ/1098م تعذر فيه وجود الأوقات ودام هذا الغلاء سنتين ، وكان سببه تساقط البرد على الزراعة مما أتلّفها ثم أعقبه وباء ، وفي سنة 552هـ/1157م كان بخراسان غلاء شديد أكلت فيه الدواب والناس⁽¹⁶⁸⁾ .

أثر الدولة السلجوقية على الحياة الاجتماعية :

انتشرت المظاهر المادية كمجالس الأتس والطرب في مدن الإمبراطورية السلجوقية فأثارت الشغب لدى الأهالي واعتدى بعضهم على مغنية ، وتطور الأمر إلى مشادات ، فكتب بعض الأئمة من بينهم الإمام" أبو إسحاق الشيرازي إلى الخليفة العباسي وطالبوه بهدم المواخير والحانات فوعدهم بأن يكتب السلطان السلجوقي في ذلك ولكن السلطان ظلّ يماطل دون أن يقوم بأيّ إجراء يحدّ من تفاقم هذه الظواهر⁽¹⁶⁹⁾ ، وكتب عماد الدين الأصفهاني عن انتشار ظاهرة المجون في أوساط الساسة السلاجقة خاصّة معتبرا إياها من الأسباب التي أدّت إلى ضعف دولة السلاجقة يقول : " وأم السلطان (بركيارق) قد خلعت عن عذارها ووافقت كمشتكين الجاندار على المنكر ومعاقرة المسكر والسلطان مشغول باللعب والعشرة مع

عدّة من الصبيان والوزير أيضا منهمك في الشرب مع الأخدان والمساخر والمجان ووصلوا إلى بغداد واختاروا المقام فيها وأهتتهم مغانيها وغوانبها وصار الأمر مهملا والعدل مغفلا" (170) ويبدو أن عماد الأصفهاني بالغ في تعميم هذه الظاهرة التي قد يختلف طرحها لدى المصادر الأخرى ، ومرد ذلك لتوجهات الأصفهاني وأثرها على كتاباته .

ومن الطبيعي والحال على ما رأينا أن يقع الميل إلى تحميل مفهوم السعادة معايير جديدة أكثر تشبعا بالمحسوس ، فشهد العصر السلجوقي إقبالا منقطع النظير على الحياة وانتشرت ظواهر الاحتفال بالجنس والموسيقى والخمر والبذخ ، لقد بلغت الأزمة الأخلاقي حدّا دفع عددا من الفقهاء الذين خضعوا لضغوط شتى إلى التأقلم مع الأوضاع الجديدة فأفتى بعضهم بجواز عشق الغلمان (171) وحاول الراوندي في كتابه راحة الصدور أن يدافع عن استغراق السلاجقة في شرب الخمر مبيّنا أنّ ذلك لا يتعارض مع أحكام الشريعة وأنّ الخمر إذا ذهب ثلثاه لا يعدّ شربه محرّما " والثلث من الخمر لا يدخل تحت نصوص التحريم فهو مباح وحلال" (172).

على أنّ العصر السلجوقي ورغم هذا فقد عرف العصر السلجوقي إعادة النظر في كثير من القيم الموروثة بظاهرة جديدة فقد عرفت موقعاً مميزاً مقارنة بالعهد السابقة ولقد تکرّس هذا الحضور خاصة في المجال السياسي الذي تمتعت المرأة فيه بنفوذ مثير للانتباه ، بل لعبت أحيانا كثيرة دورا حاسما في توجيه السياسة السلجوقية مثل ذكر ترکان زوجة ملكشاه كما تمتعت زوجته الأخرى زبيدة بحضور سياسي بارز في تاريخ الدولة السلجوقية شاركتها فيه زوجة الأتابك جهان بهلوان (173) .

الحركة الإسماعيلية وتأثيرها في المجتمع الإسلامي :

استقطبت الحركة الإسماعيلية أعدادا كثيرة من الفقراء ومن فقدوا امتيازات قديمة ، فوجدوا في الحركة بديلا يحقق آمالهم وتطلعاتهم بعد فشل الدولة السلجوقية في تحقيق اصلاحاتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

ولقد نشط الفرس نشاطا بارزا داخل الحركة الإسماعيلية واستحوذوا على القيادات الاقليمية للحركة فقاد الديلمي "بوزورك" الحركة الإسماعيلية في الديلم وقاد الخراساني حسين قائمي الحركة في قومستان¹⁷⁴ أما أبو حمزة الأراجاني فتزعم الحركة الإسماعيلية في ارجان بينما مثل القائد "قوميس" الحركة الإسماعيلية في قوميس (175) .

وكان هذا النشاط يطبع الحركة الإسماعيلية بطابع "قومي" فارسي ليس أقلها تأثيرا من حركات كردية برزت منذ ذلك العصر الذي تعرّض فيه الأكراد إلى اضطهاد شديد جعلهم يلجؤون إلى الجبال ولسوف يتخذ هذا الصّراع بمرور الزمن أبعادا أكثر تعقيدا، على أنّ الحركات الاجتماعية المعارضة لم تتخذ في كلّ الأحوال طابعا قوميا أو فكرياً إذ تلوّنت أحيانا بلون اجتماعي صرف عبّرت عنه حركة العيارين التي أصبحت حركة شعبية وملجأ المهمشين الذين عبروا أحيانا عن ضيقهم بالظلم الاجتماعي باعتماد العنف والسطوة و" الفتوة" ، إذ يذكر ابن الأثير أنّ ابتداء هذه الحركة كانت سنة 416هـ \ 1025م عندما هاجموا سكان بغداد واغتصبوا أموالهم وأحرقوا أجزاء من المدينة (176) .

وصاحبت مثل هذه الاعتداءات الفتن المذهبية ، وحصار المدن ففي سنة 441هـ \ 1049م اضطّرّ الناس في بغداد إلى حمل السلاح دفاعا عن أنفسهم وأموالهم ضدّ هجمات العيارين والمفسدين حسب تعبير ابن الأثير ويدلّ هذا العنف الاجتماعي على وجود تربة صالحة تساعد على ظهوره ونموّه في العصر السلجوقي فتفشى تفشياً واضحا ووسم العصر السلجوقي بكامله حتى في تلك الفترات التي اعتبرت أكثر استقرارا من غيرها (177) .

وخلاصة القول في هذا الفصل هي أنّه يصعب التأليف بين مختلف الشعوب التي حكموا المنطقة وتوحيد الإسلام وتثريته ضمن مشهد حضاري يجمع كلّ الأجناس فإنّ ذلك ظلّ مشروعا نظرياً صعب التحقيق شبيها في اقتصره على الجانب

النظري بهذه اللفظة العربية الفارسية (ملك/ شاه) التي هدفوا من صياغتها على هذا النحو إلى التأليف بين العرب والفرس والترك إذ لن نحمد في الواقع الصراعات بين هذه الأجناس الثلاثة لا في عصر السلاجقة ولا في أي قرن تلا ذلك إلى حدود عصرنا الحالي .

الخاتمة (النتائج)

تناولت الدراسة مرحلة زمنية متباينة في تاريخ المشرق الإسلامي تمثل ضعف الخلافة العباسية وبداية قيام الدول الإسلامية السنية والشيعية ، وأبرزت التغييرات التي أحدثتها السلطة على الحياة الاجتماعية والفكرية والتعليمية في مجتمع المشرق الإسلامي .

شهدت منطقة المشرق الإسلامي فترة انفتاح واسعة وتحولات سياسية ودينية في أنظمة الحكم ، تخللها دخول مؤثرات خارجية من أجناس مختلفة اندمجت مع الثقافة العربية ، ومن هذه المؤثرات من كان لها أهدافها السياسية ، واختلافاتها المذهبية ، فرضتها طبيعة العلاقات بين الدولة العباسية والبيوية والسلجوقية ، والصراع مع الحركات الدينية المغالية كالباطنية ، وتفوق المذهب الشافعي وحضوره على المذاهب الأخرى ، واستبعاد بعضها عن تولي المناصب كالحنابلة الذي برز بشكل واضح مع العهد السلجوقي .

تبين في هذه الدراسة أن مسألة الحكم من أهم العوامل التي أدت إلى انقسام المسلمين إلى فرق وشيع ومذاهب ، ولم تكن سياست نامه خلاصة الفكر للقرن الخامس الهجري \ الحادي عشر الميلادي ، واعتمد نظام الملك في كتابه مصادر فارسية وإسلامية ، وطبقت جوانب في كتاب نظام الملك كمنظرة للإقطاع ، وجوانب أخرى وردت في كتابه لم تطبق بالدولة ، كما وساهمت المدارس النظامية في إرساء المذهب الشافعي .

الهوامش :

(1) المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت 346هـ \ 957م) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، (تحقيق محي الدين عبد الحميد) ، دار المعرفة ، بيروت ، (د.ط) ، 1982م ، ج 1 ، ص 306 ، ج 2 ، ص 73 ، وسيشار إليه المسعودي مروج الذهب ، ابن خلدون ، عبد الرحمن ت 808هـ \ 1405م ، تاريخ ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت ، ج 6 ، ص 12 ، وسيشار إليه : ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون .

(2) حسنين ، عبد المنعم محمد ، دولة السلاجقة القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية 1975م ، ص 15 ، وسيشار إليه لاحقا : حسنين ، دولة السلاجقة .

(3) حكمت العائلة الغزنوية ذات الأصول التركية أفغانستان والبنجاب مدة ثلاثة قرون ق 10 - ق 12 ميلاديين ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج 8 ، ص 483 .

(4) الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255هـ \ 868م) (التبصر في التجارة، القاهرة 1977م ، ص 9 ، 10 .

(5) داندقان تقع في الصحراء بين سرخس ومرو في خراسان ، البنداري ، عماد الدين محمد بن حامد ، تواريخ آل سلجوق ، بيروت ، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط 2، 1978م ، ص 10 ، وسيشار إليه : البنداري ، تواريخ آل سلجوق .

(6) الراوندي ، محمد ، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة إبراهيم أمين الشواربي وعبد النعيم محمد حسنين وفؤاد عبد المعطي الصياد، مراجعة ونشر إبراهيم أمين الشواربي ، د.م.ن، إصدار المجلس الأعلى للفنون والآداب، 1960 ، ص 167 ، 168 ، وعبد النعيم محمد حسنين، دولة السلاجقة، مرجع سبق

ذكره، ص 14. ابن الأثير الكامل في التاريخ، مج 9، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر، 1966، ص 483

(7) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م ج 9، مرجع سبق ذكره، ص 610 ، ومتر ، آدم ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ،

- ترجمة محمدعبد الهادي ، ج2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط4 ، 1967م ، ج1 ، ص 45 ، 46 ، وسيشار إليه لاحقاً : متر ، الحضارة الإسلامية .
- (8) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص 113 125 ، وكاهين ، كلود ، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية ، ترجمة بدر الدين القاسم ، ط1 ، دار الحقيقة للطباعة والنشر ، بيروت ، 1972م ، ص 169 ، وسيشار إليه : كاهين ، تاريخ العرب ، والدوري ، عبد العزيز ، التكوين التاريخي للأمة العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1 ، بيروت ، 1984م ، ص 45 ، 46 ، وسيشار إليه لاحقاً : الدوري ، التكوين التاريخي .
- (9) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص 120 ، والدوري ، دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، ص 263 ، 268 ، وأشتور ، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الاوسط في العصور الوسطى ، ترجمة عبد الهادي عبله ، دار قتيبة ، دمشق ، ط1 ، 1985م ، ص 228 ، 229 ، وسيشار اليه : أشتور التاريخ الاقتصادي والاجتماعي .
- (10) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص 160 ، 215 .
- (11) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص 161 ، وأشتور ، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي ، ص 227 ، 233 .
- (12) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص 227 .
- (13) الجوالي هو المال الذي يؤخذ من أهل الذمة ، انظر دهمان ، محمد أحمد ، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، دار الفكر ، دمشق ، ط1 ، 1990م ، ص 56 ، وسيشار إليه : دهمان ، معجم الألفاظ .
- (14) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص 259 260 .
- (15) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص 165 ، 166 ، وابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ت 774 هـ | 1372م ، البداية والنهاية ، ج12 ، ص 66 .
- (16) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص 208 ، وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج12 ، ص 58 .
- (17) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص 144 .
- (18) محمد بن محمد بن نعمان بن عبد السلام العكبري (ت 413هـ \ 1022م) ، يرفع نسبه إلى قحطان ، أبو عبد الله ، المفيد ، ويعرف بابن المعلم: محقق إمامي، انتهت إليه رئاسة الشيعة في وقته، كثير التصانيف في الاصول والكلام والفقه. ولد في عكبرا (على عشرة فراسخ من بغداد له نحو مئتي مصنف، منها (الأعلام فيما اتفقت الامامية عليه من الأحكام - ط) و (الارشاد - ط) في تاريخ النبي - صلى الله عليه وسلم - والزهاء والائمة، و (الرسالة المقتنعة - ط) فقه، و (أحكام النساء - خ) و (أوائل المقالات في المذاهب والمختارات - ط) و (الامالي - ط) مرتب على المجالس، و (نقض فضيلة المعتزلة) و (إيمان أبي طالب - ط) رسالة، و (أصول الفقه) و (الكلام في وجوه إعجاز القرآن) و (تاريخ الشريعة) و (الافصاح - ط) في الامامة ، انظر الزركلي ، الأعلام ، ج7 ، ص 21 .
- (19) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج8 ، ص 41 ، 42 .
- (20) العيارون هم فئة اجتماعية من العاطلين عن العمل كانوا يتجولون بجيولهم ، انظر محمد رجب ، حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1981م ، ص 8 ، وسيشار إليه : رجب ، الشطار والعيارين .
- (21) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص 122 200 ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج12 ، ص 31 .
- (22) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص 144 .
- (23) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص 161 .
- (24) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص 211 ، 424 .
- (25) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص 122 .
- (26) هي احدى فرق الشيعة الباطنية زعموا أن الإمام بعد جعفر الصادق هو ابنه اسماعيل وانه لم يمت ، ويقوم بأمر الناس ، انظر الحفني ، عبد المنعم ، موسوعة الفرق والجماعات و المذاهب الإسلامية ، ط . الأولى ، دار الرشد ، القاهرة ، 1993م ، ص 43 .
- (27) بلاد ما وراء النهر المقصود هنا نهر جيحون وهذا اللفظ مصطلح إسلامي يقصد به المنطقة الواقعة شمال نهر جيحون ، كي لسترنج ،

- بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، ط 2 ، بيروت ، 1985م ، ص 476 ، وسيشار اليه لاحقاً : لسترنج ، بلدان الخلافة .
- (28) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص 267 ،
- (29) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص 143 153 222 .
- (30) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص 244 ، 268
- (31) الحسبة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومراقبة المعاملات بين الناس ، دهمان ، معجم الالفاظ التاريخية ، ص 61 .
- (32) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج9، ص 135
- (33) القلقشندي ، أبي العباس أحمد (ت 821هـ / 1418م)، صبح الأعشى ، د.ط ، 14 ج ، دار الكتب الخديوية ، القاهرة ، 1915م ، ص 28 ، 188 ، وسيشار اليه : القلقشندي ، صبح الاعشى ، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج9، ص 215
- (34) ابن عبدون: رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة، تحقيق ليفى برونفسال، ضمن ثلاث رسائل أندلسية عن الحسبة، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م، ص13.
- (35) الدمشقي ، جعفر بن علي ت 574هـ \ 1178م ، كتاب الإشارة إلى محاسن التجارة، مطبعة المؤيد، القاهرة، 1818هـ، ص44، وحسن الباشا : الفنون الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ت، ج2، ص514.
- (36) ابن عبدون: رسالته، ص41.
- (37) المصرى ، أحمد محمود عبد الوهاب ، العمائر في وثائق الغورى الجديدة بوزارة الأوقاف، جامعة أسيوط، آداب سوهاج 1981م، رسالة ماجستير غير منشورة، ص17.
- (38) ابن منظور: لسان العرب، مج12، مادة ترجم، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ج1، مادة ترجم.
- (39) لبيب ، صبحي ، الفندق ظاهرة سياسية، بحث ضمن كتاب مصر وعالم البحر المتوسط، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1986، ص294.
- (40) الممشري ، مصطفى عبدالله ، الأعمال المصرفية والإسلام، رسالة ماجستير، دار العلوم، جامعة القاهرة، ص21 .
- (41) حسن الباشا ، الفنون الإسلامية، ج2، ص604
- (42) النويرى ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب ت 733هـ \ 1332م ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج33 ، دار الكتب المصرية، القاهرة 1984 ، ج3، ص299 ،
- (43) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج8، ص 135 ، 136
- (44) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج8، ص 135
- (45) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج8، ص 158
- (46) أذربيجان بلد يقع قرب بلاد الديلم من الشمال ، وبلاد الجبل والظرم ، وقصبتها تبريز انظر الحموي ، البلدان ، ج1 ، 128 .
- (47) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج8، ص 221
- (48) أرسلان بن عبد الله أبو الحارث البساسيري قائد تركي الأصل من ممالك بني بويه خدع القائم العباسي وخطب له في منابر العراق وحوزستان خرج على القائم وخطب للمستنصر الفاطمي صاحب مصر سنة 1059م قتله عسكر السلطان طغرل وكانت ببغداد محلة كبيرة تنسب إليه، خير الدين الزركلي، قاموس تراجم الأعلام، الجزء1، بيروت، دار العلم للملايين، ط2 1992 م .
- (49) هو قرواش بن المقلد بن المسيب العقيلي (444هـ \ 1052م) ، من هوازن، أبو المنيع، معتمد الدولة: صاحب الموصل والكوفة والمدائن وسقي الفرات. ولها بعد مقتل أبيه (سنة 391 هـ وكان أديبا شاعرا. أحسن تدبير ملكه وسياسته، ودامت إمارته خمسين سنة. ووقع خصام بينه وبين أخيه بركة بن المقلد، فقبض عليه بركة سنة 441 وحبسه في إحدى قلاع الموصل. ثم نقله ابن أخيه قريش بن بدران بن المقلد، إلى قلعة الجراحية، من أعمال الموصل، فتوفي بها ، الزركلي ، الاعلام ، ج 5 ، ص 194 .
- (50) الأصفهاني ، عماد الدين محمد بن محمد ت 597هـ \ 1200م ، تأريخ دولة آل سلجوق، ط2 ، بيروت، منشورات دار الآفاق

- الجديدة ، 1978 ، ص 14 ، وسيشار إليه : الأصفهاني ، تأريخ آل سلجوق ، و ديبس بن سيف الدولة صدقة بن منصور بن ديبس بن علي بن مزيد الاسدي الناشري أبو الأعز، نور الدولة (ت 529هـ \ 1135م) : صاحب الحلة وأمير بادية العراق. كان من الشجعان الأشداء، موصوفاً بالحزم والهيبة، عارفاً بالأدب، يقول الشعر. وفي المؤرخين من يصفه بالشرف وارتكاب الكبائر.
- (51) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج 8 ، ص 202 ، وابن الأثير ، الكامل ، م ج 9 ، ص 641 .
- (52) ابن العديم ، عمر بن احمد (ت 660هـ \ 1261م) ، زبدة الحلب في تاريخ الحلب ، تحقيق سامي الدهان ، دمشق ، 1954م ، ج 2 ، ص 19 ، وابن الأثير ، الكامل ، م ج 9 ، ص 641 .
- (53) عانة بلدة تقع بين الرقة وهيت من أعمال الجزيرة الفراتية ، انظر الحموي ، البلدان ، ج 4 ، ص 72 .
- (54) البيزدي ، محمد الحسيني ، العراضة في الحكاية السلجوقية، ترجمة وتحقيق عبد النعيم محمد حسنين وحسين أمين، بغداد، مطبعة جامعة بغداد، 1979م ، ص 41
- (55) ابن العماد الحنبلي ، شهاب الدين عبد الحي بن أحمد (ت 1089هـ \ 1678م) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق محمود الارناؤوط ، دار ابن كثير ، بيروت ، 1988م ، ط 1 ، ج 3 ، ص 318 ، وسيشار اليه : ابن عماد ، شذرات الذهب ، وابن الأثير ، الكامل في التاريخ، م ج 9 ، ص 649.
- (56) الراوندي ، راحة الصدور ، ص 77 .، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، م ج 10 ، ص 22 ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج 8 ، ص 224 .
- (57) محمد الحسيني البيزدي ، العراضة في الحكاية السلجوقية ، ص 18 ، 43.
- (58) البنداري ، تاريخ دولة ال سلجوق ، ص 21 ، وابن الأثير ، الكامل في التاريخ، م ج 10 ، ص 22
- (59) الراوندي ، راحة الصدور ، ص 175.
- (60) نيكيتا ايليسف، الشرق الإسلامي في العصر الوسيط، ترجمة منصور أبو الحسن، بيروت مؤسسة الكتاب الحديث، 1986م ، ص 349 ، وسيشار اليه : ايليسف ، الشرق الإسلامي .
- (61) ألب أرسلان، السلطان السلجوقي الثاني بعد طغرل وامتدت فترة حكمه ما بين 1063 - 1073، مات مقتولا عرفت فترته بالتوسعات السلجوقية في المجال المسيحي المجاور لهم .
- (62) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، م ج 9 ، ص 546.
- (63) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج 8 ، ص 182 .
- (64) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج 8 ، ص 192 .
- (65) مدينة تقع قرب نهر جيحون ، انظر الحموي ، معجم البلدان ، ج 2 ، ص 396
- (66) هي مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور عشرة فراسخ ، انظر الحموي ، معجم البلدان ، ج 4 ، ص 49
- (67) بلاد واسعة تمتد حدودها من العراق إلى الهند وطخارستان وغزنة وسجستان وكرمان ، ومن مدنها نيسابور وهراة ومرو وهي قصبتها وبلخ ، انظر الحموي ، معجم البلدان ، ج 2 ، ص 350
- (68) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج 8 ، ص 230 240 .
- (69) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج 8 ، ص 240 ، 241 .
- (70) جورجيا هي بلاد الكرج تقع عند جبال القيق من مدنها تفليس ، انظر الحموي ، البلدان ، ج 4 ، ص 446 .
- (71) آبي مدينة يوجد بها قلعة حصينة في ارمينية ، انظر الحموي ، البلدان ، ج 1 ، ص 59 .
- (72) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، م ج 9 ، ص 67 ، وابن كثير ، البداية والنهاية ، ج 21 ، ص 107 ، وغرايبة ، عبد الكريم ، العرب والأترك ، دمشق ، د.ط ، 1961م ، ص 74 ، 155 ، وسيشار إليه : غرايبة ، العرب والأترك .
- (73) نيكيتا ايليسف، الشرق الإسلامي في العصر الوسيط، ص 334 .
- (74) نظام الملك: الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي الملقب بقوام الدين، نظام الملك أصله من طوس اتصل بالسلطان آلب رسلان

- فاستوزره وبقي في خدمته عشر سنين ومات آل ب رسلان فخلفه ولده ملكشاه فصار الأمر كله لنظام الملك وليس للسلطان إلا البحث والصيد وأقام على هذا عشرين سنة اغتاله ديلمي سنة 1092م ودفن بأصبهان، السبكي ، طبقات الشافعية ، ج4 ، ص 309 ، 329 ، وابن الجوزي ، المنتظم ، ج 9 ، ص 64 ، 68 .
- (75) عبد النعيم محمد حسنين دولة السلاجقة ، ص 68
- (76) البنداري ، تواريخ ال سلجوق ، ص 29 ، الراوندي ، محمد ، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة إبراهيم أمين الشواربي وعبد النعيم محمد حسنين وفؤاد عبد المعطي الصياد، مراجعة ونشر إبراهيم أمين الشواربي ، د.م.ن، إصدار المجلس الأعلى للثقافة والآداب، 1960 ، ص 126 ، 127 ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج 9 ، ص 38 .
- (77) الحسيني ، أخبار الدولة السلجوقية ، ص 76 .
- (78) عماد الدين الأصفهاني (ت 597هـ \ 1200م) ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص 60 ، والبنداري ، التواريخ ، ص 60 .
- (79) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 10 ، ص 76 .
- (80) الطوسي ، سياسه نامه ، ص 57 ، 202 ، واجي معروف ، علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي ، د.ط ، بغداد ، مطبعة الإرشاد ، 1973م ، ص 12، وسيشار اليه : معروف ، علماء النظاميات .
- (81) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، م ج 10، ص 204
- (82) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م ج 10، ص 204
- (83) الراوندي، راحة الصدور وآية السرور، مرجع سبق ذكره، ص 209.
- (84) حسن الصباح، عالم بالهندسة والحساب والنجوم قيل أنه يماني الأصل من حمير تلمذ على أحمد بن عطاش كان مقدم الإسماعيلية بأصبهان استولى على قلعة ألموت سنة 1090م واستقر بها إلى أن توفي فيها سنة 1124م ، انظر الزر كلي معجم الأعلام ، ج 2 .
- (85) بغداد عاصمة الدولة العباسية تقع بين نهري الفرات ودجلة في العراق ، انظر الحموي ، البلدان ، ج 1 ، ص 458 .
- (86) - بدر عبد الله الجمالي أبو النجم: أمير الجيوش المصرية أصله من أرمينية اشتراه جمال الدولة بن عمار غلاما فترقى عنده ونسب إليه ولي إمارة دمشق للمستنصر 1063 ثم استدعاه المستنصر إلى مصر لإخماد فتنة نشبت بها فارتفع شأنه، الزر كلي، معجم الأعلام ، ج 1 ، ص 103 .
- (87) ساوة مدينة بين الري وهمذان ، انظر الحموي ، البلدان ، ج 3 ، ص 179 .
- (88) الشحنة هو متولي الشرطة ، دهمان ، الالفاظ التاريخية ، ص 97 .
- (89) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م ج 10، ص 313-314 .
- (90) برنارد لويس، الحشاشون فرقة ثورية في تاريخ الإسلام، ترجمة محمد العزب موسى، بيروت، نشر دار آزال للطباعة والنشر والتوزيع ، ط 2 ، 1986م ، ص 78 ، 79 .
- (91) برنارد لويس، الحشاشون فرقة ثورية في تاريخ الإسلام، ترجمة محمد العزب موسى، بيروت، نشر دار آزال للطباعة والنشر والتوزيع ، ط 2 ، 1986م ، ص 83
- (92) أهر مدينة من مدن قهستان ينسب إليها أبو اليسر عطا بن نبهان ، ابن عساكر ، علي بن الحسن (ت 571هـ \ 1175م) تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق محب الدين العمروي ، دار الفكر ، 1995م ، بيروت ، ج 1 ، ص 123 ، وسيشار اليه : ابن عساكر ، تاريخ دمشق .
- (93) الري مدينة تقع بين نيسابور وقزوين ، انظر الحموي ، البلدان ، ج 3 ، ص 216 .
- (94) أمل مدينة تقع في طبرستان ، انظر الحموي ، البلدان ، ج 1 ، ص 67 .
- (95) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 10 ، مرجع سبق ذكره، ص 315-316-317-318-319 ، وخوزستان مدينة تقع بين فارس والبصرة وواسط وجبال اللور المجاورة لأصبهان ، انظر الحموي ، معجم البلدان ، ج 2 ، ص 404 .
- (96) أرحان مدينة برية وبحرية وسهلية بين شيراز و الاهواز ، انظر الحموي ، البلدان ، ج 1 ، ص 143 .

- (97) سمي أتباع حسن الصباح الإسماعيلية التزارية لأنهم أيدوا حق نزار ابن الخليفة الفاطمي المستنصر في الخلافة بعد أبيه ، انظر تاريخ ابن خلدون ، ج4 ، ص 94 .
- (98) برنارد لويس، الحشاشون فرقة ثورية في تاريخ الإسلام ، ص85-86.
- (99) شاهدز قلعة منيعة على جبل أصفهان ومعناه قلعة الملك ، وكانت إحدى معازل الباطنية ، انظر الحموي ، البلدان ، ج3 ، ص 316 ، وانظر ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج2 ، ص 227 .
- (100) نيكيتا ايليسيف، الشرق الاسلامي في العصر الوسيط، مرجع سبق ذكره، ص273.
- (101) برنارد لويس، الحشاشون فرقة ثورية في تاريخ الإسلام، مرجع سبق ذكره، ص 133.
- (102) فرهاد دفترى ، الاسماعيليون في العصر الوسيط، ترجمة سيف الدين القصير، دمشق، دار الثقافة والنشر 1999م ، ص 193.
- (103) أصبهان مدينة عظيمة في بلاد فارس ، انظر الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص 206 .
- (104) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م ج 10، ص 418-419.
- (105) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م ج 10، ص 322 .
- (106) ابن الاثير ، الكامل ، ج8 ، ص 130
- (107) ابن الاثير ، الكامل ، ج8 ، ص 237 238 ،
- (108) سعد ، أحمد صادق ، تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي ، دار ابن خلدون ، ط 1 ، 1979م ، ص 346 ، 348 .
- (109) الراوندي ، راحة الصدور ، ص 146 ، وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص 238 .
- (110) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج 8 ، ص 240 241
- (111) مدينة عظيمة بين طبرستان وخراسان ، وقيل أن أول من بناها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة انظر الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص 119
- (112) الحسيني ، زبدة التواريخ ، ص 2 ، و ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص 250 ، وبارتولد ، منذ الفتح الإسلامي وحتى الغزو المغولي ، ترجمة صلاح الدين عثمان ، ط 1 ، الكويت ، 1981م ، ص 145 ، وسيسار إليه : بارتولد ، الفتح الإسلامي .
- (113) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج 8 ، ص 256 .
- (114) مدينة بينها وبين الري سبع وعشرون فرسخاً ، وبينها وبين بلاد الديلم جبل ، وفيها قلعتها الحصينة ، انظر الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص 342 .
- (115) ابن الفارقي ، أحمد بن يوسف (ت 580هـ \ 1184م) ، تاريخ الفارقي ، تحقيق بدوي عبد اللطيف ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة ، 1959م ، ص 161 ، وسيسار إليه : ابن الفارقي ، تاريخ الفارقي ، و الحسيني ، زبدة التواريخ ، ص 58-61 ، و ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص 257 .
- (116) ابن الجوزي ، يوسف بن قزاوغلي (ت 654هـ \ 1256م) ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، ج1 ، ج2 ، دار المعارف العثمانية ، الهند ، 1951م ، ص 223 ، 224 ، و الراوندي ، راحة الصدور ، ص 77 ، وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص 257 258 ، وكرمان مدينة تقع بين فارس ومكران وسجستان ، انظر الحموي ، البلدان ، ج4 ، ص 454 .
- (117) أيلك خانين اوفوري معناه الامير أو الحاكم أو الوحي ، وهو ليس اسم علم وهو مثل كلمات ترکان أو خاتون ، انظر سهيل زكار ، مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية ، ص 28 .
- (118) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج8 ، ص 224 ، والراوندي ، راحة الصدور ، ص 77 ، وابن الأثير، الكامل في التاريخ، م ج 9، ص 536.
- (119) تقع في العراق آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد ، انظر معجم البلدان ، الحموي ، ج2 ، ص 290 .
- (120) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م ج 9 ، ص 533 .
- (121) البنداري ، تاريخ آل سلجوق ، ص 60 ، وابن الأثير، الكامل في التاريخ، م ج 9، ص 612 ، 613 .

- (122) تكريت مدينة تقع بين بغداد والموصل ، انظر الحموي ، البلدان ، ج 2 ، ص 36 .
- (123) البنداري ، تاريخ آل سلجوق ، ص 11 ، وابن الأثير، الكامل في التاريخ، م ج 9 ، ص 306.
- (124) القراريط هي معيار في الوزن والقياس يساوي من الفدان 175 متر ، انظر ، الخطيب ، مصطفى عبد الكريم ، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية العثمانية ، ط 1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1996م ، ص 357 ، وسيسار إليه : الخطيب ، معجم المصطلحات .
- (125) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م ج 9 ، ص 613.
- (126) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م ج 9، ص 631
- (127) كارّة حزمة كبيرة من الحطب أو مقدار كبير من التمر عند اهل البصرة وبغداد ، انظر الخطيب ، معجم المصطلحات ، ص 360
- (128) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م ج 9 ، ص 636
- (129) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م ج 9، ص 470
- (130) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م ج 9، مرجع سبق ذكره، ص 605 وفي سنة 1058م أدى حصار البساسيري للبصرة أربعة أشهر إلى مجاعة فاضطرّ الناس إلى أكل دواهم ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م ج 9، ص 639
- (131) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج 8 ، ص 113 134
- (132) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج 8 ، ص 123
- (133) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج 8 ، ص 121 122
- (134) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج 8 ، ص 209
- (135) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج 8 ، ص 242
- (136) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج 8 ، ص 132
- (137) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج 8 ، ص ، ج 9، ص 596.
- (138) الموصل مدينة تقع شمال العراق قرب نينوى فيها يقصد إلى اذربيجان ، انظر الحموي ، البلدان ، ج 5 ، ص 223 .
- (139) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج 8 ، ص 181 182 195 ، وكلود ، كاهن ، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية ، ج 1 ، ص 348 .
- (140) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج 10 ، ص 180 .
- (141) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج 8 ، ص 200
- (142) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج 10 ، ص 180
- (143) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م ج 9، ص 569
- (144) عماد الدين الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص 84-85 ، والبيهقي ، تاريخ البيهقي ، ص 79 .
- (145) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 10، ص 76 .
- (146) عبد النعيم محمد حسنين، دولة السلاجقة ، ص 162.
- (147) عماد الدين الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص 11.
- (148) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 9، ص 382-384.
- (149) نيكيتا ايليسيف، الشرق الإسلامي في العصر الوسيط ، ص 347 .
- (150) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج 8، ص 184
- (151) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج 8، ص 209 231 ،
- (152) اليزيدي ، محمد حسين (ت 743هـ \ 1342م) ، العراضة في الحكاية السلجوقية، ترجمة وتحقيق عبد النعيم محمد حسنين، بغداد، مطبعة بغداد، 1979م ، ص 105 ، 106.

- (153) برنارد لويس، الحشاشون، ص 74
- (154) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 114
- (155) مدينة تقع بين الفرات ودجلة شمال العراق، انظر البكري، عبد الله بن عبد العزيز ت 487هـ \ 1094م، معجم ما استعجم من أسماء البلاد و المواضع، د.ط، ج 4، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ج 2، ص 1287. وسيسار إليه لاحقاً البكري، معجم ما استعجم .
- (156) ابن العبري، أبي الفرج جمال الدين، تاريخ الزمان، ترجمة اسحاق الرملية، دار المشرق، بيروت، 1986م، ص 85، وسيسار إليه: ابن العبري، تاريخ الزمان .
- (157) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 8، ص 437،
- (158) العمادى، محمد حسن، خراسان في العصر الغزنوي، د.ط، مؤسسة حمادة، اربد، 1997م، ص 127 .
- (159) عبد العظيم، محمد، تاريخ المسلمين وحضارتهم في آسيا الوسطى وبلاد القوقاز، د.ط، 2004م، د.ت، ص 113.
- (160) محمد عبد العظيم، تاريخ المسلمين، ص 113 .
- (161) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م ج 9، ص 639 .
- (162) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م ج 9، ص 638 .
- (163) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م ج 9، ص 638 .
- (164) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م ج 9، ص 105، 305 .
- (165) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م ج 9، ص 305 .
- (166) البيهقي: تاريخه، ص 671-674، بدر عبد الرحمن: مظاهر الحضارة، ص 259
- (167) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عدة أجزاء، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، مراجعة وتصحيح: نعيم زرزور، بيروت 1992، ج 16، ص 102 .
- (168) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 9، ص 24 .
- (169) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م ج 10، ص 91 .
- (170) عماد الدين الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص 82 .
- (171) حلمي، أحمد كمال الدين، عمر الخيام عصرا وبيئة وتناحا، الكويت، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، 1994م، ص 31 .
- (172) الراوندي، راحة الصدور، ص 582 .
- (173) عبد النعيم محمد حسنين، دولة السلاجقة، مرجع سبق ذكره، ص 166 .
- (174) قومستان مدينة من نواحي همدان وزنجان، انظر الحموي، البلدان، ج 4، ص 412 .
- (175) فرهاد دفترى، الاسماعيليون في العصر الوسيط، ترجمة سيف الدين القصير، دمشق، دار الثقافة والنشر، 1999م، ص 196، وقوميس كورة كبيرة قرب جبال طبرستان والري، انظر الحموي، البلدان، ج 4، ص 414 .
- (176) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م ج 9، ص 349 .
- (177) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 9، ص 349، 638 .